

إطلالة ثقافية

بقلم
خالد حسن أحمد

إطلالة ثقافية


إطلالة ثقافية
بقلم
خالد حسن أحمد

الفصل الأول

كنـوز معرفيـة

نشوة الإنتصار والتفوق والشعور بالقوة دائماً ما يضعف من صوت العقل والحكمة، يظلل بالضباب على الرؤية أو بالغشاوة على الفكر الرائق هذا ما يحدث لكثير من الناس بعد أن تتغلب عليهم نشوة الإنتصار فتصيبهم بالعمى، يصدر أحكام وأوامر باغية قد تضر بالمصلحة العامة إذا كان الشخص فى دائرة صنع القرار، هذا ما أصاب رجل يعتبر من أكبر القادة العظام التى أنجبتهم البشرية وهو ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا فى عهد الحرب العالمية الثانية ، انه بعد إنتصار الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية أصيب بهذه النشوة العمياء نشوة الإنتصار فقد أعد مذكرة مكتوبه وعرضها على مجلس العموم البريطانى بشأن الحرب والإجراءات التى يجب أن تتم مع الدولة المهزومة ألمانيا وهى إجراءات مجحفة ظالمة قد طغت عليها نشوة الإنتصار والتفوق، هى تحويل شركة فولكس فاجن لصناعة السيارات الى شركة لصناعة الأثاث المعدنى، ونقل قوس النصر من ميدان برلين إلى إحدى ميادين لندن، ونقل البيانو الخاص الذى كان يعزف عليه الموسيقار العالمى بتهوفن الى قاعة مجلس العموم البريطانى، إذلال الشعب الألمانى حتى لا يجرؤ مرة أخرى فى محاربة الشعب الإنجليزى، فما كان من مجلس العموم البريطانى إلا أن رفض هذه المذكرة وما فيها و إقناع تشرشل أن هذه الأحكام القاسية المؤلمة ستولد الرغبة فى الإنتقام عند الشعب الألمانى والثأر والتصميم على المواجهة والعداء، كل هذه الأشياء نبعت وتولدت من نشوة الشعور بالنصر والتعجرف فاحذر الوقوع فى مثل هذه المنومات التى تتسرب الى الإنسان دون أن يدرى ويستسلم لهذه الأفكار الإنتقامية التى يجنو منها الخسائر دائماً ووقوع الإنسان فريسة سهلة لهذه النشوة المدمرة بالنفس وأيضاً هى مدمرة بكل المحيطين فلا تغلبنا نشوة الإنتصار وتعمى قلوبنا وأبصارنا، ونحصد من وراءها ويلات، ومآس تضر كثيراً ولا تنفع وتؤدى إلى مهالك كثيرة.

فى صيف ٢٠٠٦ والحرب الدائرة فى لبنان بين حزب الله اللبنانى وإسرائيل والقذف الإسرائيلى المستمر على جنوب لبنان ولبنان كلها، كانت إسرائيل ترسل طائرة بدون طيار للاستطلاع والتصوير والكشف عن خبايا الخطط التى تعمل بها حزب الله وكانت الطائرة تحلق فى الأجواء اللبنانية مخترقة حرمة الأرض والسماء، وكان اللبنانيون يطلقون على هذه الطائرة ويسمونها إسم أم كامل فالشعوب فى أشد المحن والكروب تطلق العبارات والكلمات الساخرة هكذا تفعل دائما الشعوب ترى ما هى الدوافع التى تجعل الشعوب تستخدم السخرية فى أشد المحن هكذا، هل هى السخرية من العلم التكنولوجى المتمثل فى الطائرة بدون طيار وأن العلم مهما توصل إلى التقدم فهو ممكن أن يكون محل سخرية من الإنسان أم هو العجز عن فعل شئ يواجه تلك الآلة الحديثة ويجعلهم محبطون لا يملكون شئ إلا السخرية والتهكم للتنفيس عن الغضب والإحساس بالإحباط والفشل أعتقد أنه خليط من هذا وذاك وراء تسمية أم كامل للطائرة الحديثة بدون طيار، هكذا الشعوب تمارس النكتة والنقد اللاذع فى أوج محنها وشدائدها للتنفيس عن الغضب الكامن والمكبوت خوفا من أن يولد الإنفجار واليأس وعواقبهما، هكذا سيكولوجية الإنسان يبحث دائما لنفسه عن مخرج يداوى بها آلامه وجراحه الغائرة العميقة وما أكثرها.

مضت تلك المحنة بعد مرورثلاثون يوما من القصف المستمر والدامى مخلفا ورائه محن أعمق ولكن الشعب المحب للحياة إجتاز تلك الفترة واستعاد شبابه وأماله وطموحاته وعاود نشاطه وضجيجه وصخبه وحبه للحياة لان أحدا لا يستطيع أن يغتال الحياة فى النفوس أو يطمس إرادتها أو يعوقه من ممارسة الحياة وتذوقها والإستمتاع بها هكذا إرادة الله فى عباده حب الحياة، مهما كانت آلامى وبرضوا بحبك يا دنيا كما قال الشاعر.

فى إنتخابات الرئاسة الأمريكية واستطلاع الرأى تشير إلى فوز المرشح الديمقراطى اوباما كان البعض يعتقد أن الأمريكيين سيغيرون رأيهم فى اللحظة الأخيرة لصالح المرشح الجمهورى جون ماكين الذى تتوفر فيه الصفات المتعارف عليها لشخص الرئيس، خذ عندك مثلا الشروط التى يجب أن تتوافر فى شخص الرئيس أولا أن يكون أبيض اللون وهذا أمر مفروغ منه للتميز العنصرى والإعتقاد أن الجنس الأبيض هو افضل أنواع البشر ثانيا الإنتماء إلى العرق الانجلوساكسوني وهو حسب إعتقادهم عرق نبيل وراقى وذكى وقادر على إدارة أى الأمور أما الخلفية الثالثة هو أن يكون بروتستانتى المذهب والملة وهو على حسب اعتقادهم هو المذهب المسيحى الأفضل عندهم لأنه أيضا فى اعتقادهم واعتقدنا أيضا المذهب الدينى الميسيحى البروتستانى المطور الجديد الذى نقوه واستخلصوه من المذاهب الدينية المسيحية السابقة الارسوذكس والكاثوليك وصححوا الأخطاء التى كانت موجودة فى المذهبين السابقين وسهلوهه لأنهم وجدوا أن المذهب البروتسانى يوافق الفطرة السليمة الحسنة وفى شرائعه كتعدد الزواج أكثر من مرة وإباحة الطلاق فى حالة استحالة العيش معا وأيضا من أهم ثوابت المذهب البروتستانى إلغاء الوساطة أو الوسيط من الكهنة والقساوسة فى العلاقة بين الإنسان وخالقه أو العلاقة بين العبد والرب هى علاقة متصلة ولا أحد أن يتدخل كوسيط أن المذاهب السابقة التى مارست من قبل لمحاكم التفتيش ومارسن القتل الكثير لأسباب بسيطة هذه هى الشروط التى تتطلب الترشيح على مقعد الرئاسةالأمريكية من ناحية الجنس والعرق واللون والمذهب الدينى تعتبر هذه الأشياء الركيزة التى يبنى عليها الأمريكيين صفات الرجل الأول فى بلادهم ولكن هذه المرة كسروا القاعدة وتخلو عن ثوابتهم للرغبة الأكيدة للتغيير هذا ما يؤكد صحة القاعدة السابقة وأن المفاهيم قابلة للتغير وأراء الإنسان قابلة للتغير وأن هناك أناس وأشخاص قادرين على الريادة والسير بالقاطرة.

الحياة الفلوكلورية هى إحدى النعوت التى وصمت بها عالمنا الذى نعيش فيه وهو الشرق الساحر الخلاب مهما ألقيت عليه من التهم جزافاً أو حتى حقيقة فهو عالمنا الذى نعشقه ونحبه ونعشق ترابه وأساطيره ودراويشه وبسطانه وأيضاً مأسوراته الشعبية.

الحياة الفلوكلورية التى وصفها بعض مستشرقى الغرب للعالم الشرقى وبالتحديد الشرق أوسطى حينما نريد تفسير هذه المقولة تفسيراً دقيقاً علمياً ونحلله ونلخصه فى الآتى: -

الحياة الفلوكلورية فى نظر الغرب هى الحياة الشعبية البدائية التى تخلو من النظام والدراسة والبحث أى أنها حياة عشوائية تخلو من الدقة والنظام نمت من تلقاء نفسها ونثرت الفوضى وقلة النظام من حولها وخلفت نوعيه من البشر المحبط نفسياً يقع بسهولة ونهم فريسه للجهل والفقر والمرض ونعوت ما أكثرها وما أقساها لدنيا الشرق الجميلة الساحرة ونحن نقول قول الفنان محمد عبد الوهاب "مهما كانت آلامى يا شرق برضه بنحبك".

فالحياة الفلوكلورية هى أيضاً إحدى تعريفاته كالفن الفلكلورى ومعنى الفن الفلكلورى الذى تقدمه مصر وجميع دول العالم أيضاً تقدمه هو عبارة عن التراث الشعبى للدول فى الفن والموسيقى والغناء من غير دراسة أو علم ... عازفين من غير دراسة العزف.. كلمات أغانى من غير دراسة وقراءة شعر .. هذا هو معنى فلكلورى فنحن عندهم حياتنا ومنهجنا فى الحياة من غير دراسة وبحث حياة كالنباتات الطفيلية خرجت من الأرض من غير بذور غرسها الفلاح والحياة الفلكلورية التى وصفها الغرب هى من الأمور المبالغ فيها وخرجت من حيز ونطاق النصيحة ودخلت فى غياهب الحرب النفسية والمعنوية بعض الشئ لإحباط الهمم وكسر الإرادة والتحدى للشعوب الشرقية وخروجهم من دائرة المنافسة والمجابهة، فتاريخنا حافل بما يدع مجال للشك أننا شعوب نهضنا وتفوقنا فى عهود سابقة بشهادة الشهود من الجميع ولكن علينا أن نأخذ الأمر بقليل من الصدق ونضع الأمور فى نصابها الصحيح ونحاول درء هذه الإدعاءات ودحرها إلى الوراء ونشق طريقنا إلى الأمام دون شعارات وكلمات براقة ولكن الطريق محفوف بالمثابرة والجهد والعرق ونكران الذات كى نقطع السبيل على هؤلاء الباحثين الجائرين بعض

الشئ فى هذه النعوت المؤلمة التى نطرحها اليوم وهى الحياة الفلكلورية التى نعتبرها هى الأقرب الى الحياة العابثة اللاهية التى تخلو من النظام والترتيب التى هى أساس كل شئ وكل تقدم وهذه النعوت المغرضة التى نراها جميعاً إنها حاجة فى نفس ابن يعقوب.

قال الإغريقى الحكيم الملقب بالفيلسوف العظيم وراعى الحكمة أفلاطون ومقدم للإنسانية حياة مثالية يرغب فى تطبيقها وسوادها بين الناس عامة (لن تتخلص أبداً المدن من شرورها حتى يصبح الفلاسفة ملوكاً أو حتى تتأتى لملوك هذه الدنيا روح الفلسفة، تلك كانت قولته الشهيرة قالها حين سادت حروباً أهلية طاحنة فى بلاد الإغريق وأثينا واليونان وغيرها من البلاد قضت على الأخضر واليابس حرب خاسرة لامنتصر فيها ولامهزوم إنما ويلات للجميع من جراء هذه الحروب، فأراد أن تعلو صوت الحكمة والحكماء ليفرضوا واقعاً جديد من الفهم الصائب والتعقل فإذا سيطر التعقل على أفئدتهم لن يجعلوا مكانا للحرب والجريمة والقسوة والفقر، كانت دوافع أفلاطون مقنعه فى المدينة المثالية بعد الخسائر التى آلت إلى أوطانهم ومزقته ولكن فى مقولته الشهيره التى حابا بها الفلاسفة و أعلى شأنهم وقلل من فكر وعقول الآخرين، نقول كم يوجد فى الدنيا أصحاب عقول راجحه وأفكار صائبه ملأوا الدنيا ولم يستمع لهم أحد أو يلتفت إلى آرائهم ذهبوا وهم يحملون الحلول فى رؤوسهم وأفئدتهم، فلنعود إلى الحكم او الملوك الذى يجب ان تتأتى لهم روح الفلسفة ويتحلو بها ليديروا بها شئون بلادهم وشعوبهم كى ينجو بهم إلى بر السلام والأمان، ولكن يا أستاذ الأجيال ومعلم المنطق وناثر الحكمة فى أرجاء العالم هناك حكام لم يتلفظوا بأقوال الحكمة ولم يكن لهم معلمين وحواريين يتلقون الفلسفة من أفواههم ولكن كان تصرفهم هو مصدر الحكمة ومنبع الفلسفة فلنستعرض أحد هؤلاء الحكام الذى سجلهم التاريخ الإنسانى ولم يكن فيلسوفا، هو الملك قورش ملك بلاد الفرس قبل الميلاد كان هذا الملك فيلسوفا نبيلاً سما فوق الأحقاد البشرية وأبا أن يحمل الضغينة إلى أى جنس بشرى على وجه هذه الأرض فامر اليهود المضطهدين فى ذلك الوقت بحياة كريمة فى بلاد فارس هذا يعد نموذج لإنسان رفض أن يكن أى عداوة إلى جنس من البشر وهو حاكم وملك وليس فيلسوفا لكنه جسد أروع معانى العفو والسمو عن الأحقاد البشرية، ليست هذه القصة إلا لتوضيح السمو الإنسانى عن الكره والشحناء فهناك الحاكم والقائد النبيل الذى لقب من أعداءة قبل أتباعه وهو القائد العظيم صلاح الدين الذى شهد له أعداءه بأخلاق الفرسان فى مواقف عديدة خلال الحروب

الصليبية، وهناك أيضاً بعض الحكام العرب الذين حكموا فى بلاد الاندلس (أسبانيا) أثناء المد الإسلامى إلى هناك شهدت لهم شعوب أوروبا ومؤرخيها وسجلات الحكم هناك بأنهم كانوا حكام نبلاء ومهذبين وليس جائرين طغاة هؤلاء كانوا حكام وغير فلاسفة ولكن الحكمة والفلسفة تخرج من طيات أعمالهم ونبع تصرفهم.

الملك قورش الذى كان حاكم وملك بلاد الفرس قبل الميلاد الذى تحتفل به إيران هذه الأيام وترى فيه ملك عظيم وأيضاً يشيد به اليهود ويضعونه فى مصاف أسمى وأنبل ملوك العالم لأنه فى عهده أمر بحياة كريمة لليهود فى بلاد فارس وأمر أيضاً ببناء هيكل سليمان وإعادته بعد هدمه على يد بختنصر ملك بابل فى ذلك العهد البائد قبل الميلاد يرون فى هذا الملك همه عاليه ومبادئ إنسانية رفيعه فنحن نرى فيه أيضاً رجل سما فوق كل الأحقاد البشرية ولم يضطهد أى طائفة بشرية تدب على وجه الأرض مهما كانت هذه الطائفة، هنا العظمة التى نشيد بها أن يعلو الإنسان ويسمو على الإضطهاد والإنتقام من أى جنس بشرى آخر، ويصدر العفو عليهما و يكرمهم، الغاية من سرد هذه القصة والواقعة ليس لنصرة طائفة على أخرى أو التعاطف مع طائفة بعينها ولكن أردنا أن نستعرض السلام مع النفس ومع الآخرين الذى يجب التحلى به كما كان عند هذا الملك، السلام مع النفس ومع الآخرين الذى غاب عن عالمنا اليوم، فلا أحد يملك هذه القدرة اليوم ها هم اليهود عندما أمتلكوا القوة والعتاد والقدرة على السيطرة والقهر لم يترددوا فى إستعماله ضد العرب لم يسمو عن الأحقاد الدفينه كما فعل الملك قورش ملك بلاد الفرس ولم يترفعوا عن القهر والدحر بل مارسوا كل أنواع العنف لم يضعوا أى حلول بديله تحقن الدماء والأرواح ليسموا فوق الإنتقام ولم يضعوا حلول بديله لكى يعم الخير والسلام لم يحرصوا على إنهاء الصراع الدائر دون سفك دماء لذلك إن طال الزمان سينالون عقاب ما يقترفونه من قتل وفتك ودمار الذى ينشرونه الآن، لأن الله جل وعلا يمنح الناس القوة و القدرة وقت ما إذا أساءوا إستخدامها ينزل عليهم العقاب وإذا أحسنوا إستخدامها أدام عليهم الخير والسلام والأمان، التاريخ شاهد على كل ذلك... ستدور الدائرة عليهم لأنه لا توجد عند الخالق شعوب مختارة لأن الله بكل بساطة ساوى

بين جميع عباده فى حقيقة الموت، حدث هذا معهم بنى إسرائيل من قبل إذا عظمت ذنوبهم وكثرت سلط عليهم الله قوم آخرين، كالآشوريين قساة قلوب سلطهم عليهم وهم أيضاً أهل عداء ينقضوا عليهم وينكلوا بهم ثم ينتقم الله أيضاً من الآشوريين وهكذا الظالمين بالظالمين وإن غدا لناظره قريب فى أجيالنا أو الأجيال المتعاقبة بعدنا.

الروتين والبيروقراطية والحفاظ على القوانين الصارمة من صفات الشعب المصرى والإنجليزى الذى رفض الدخول فى العملة الموحدة مع أوروبا لأسباب عديدة منها البقاء على الجنية الإسترلينى الذى يمثل عندهم الهوية والتعبير عن الشخصية والأسرة المالكة أيضا فى بريطانيا العظمى أحدى سمات البيروقراطية والروتين فى تقاليدها العريقة وأعرافها التى لا تتغير مع الزمن فى طقوس المراسم والتتويج والأفراح والأحزان وغيرها.

فالشعب الإنجيزى لا يغير عاداته بسهولة مهما كانت الأسباب وهو سعيد بذلك ولا يرى أهمية فى التغيير فهو قد أختار هذه التقاليد لأنه يحبها أما الشعب المصرى فهو كذلك متيم بالروتين والبيروقراطية يعشقها حتى الثمالة ويستمتع كثيرا وهو يمارسها وهو الذى إبتكر شخصية عبده الروتين الذى ينفذ الروتين والقوانين بحذافيرها ويجعل الناس تضع أصابعهم فى الشق من جراء هذا الروتين والتعجيز فى تنفيذه، وهناك مثالا حيا لتحطيم الروتين والضرب به فى عرض الحائط من أجل المصلحة العامة، ففى أثناء الحرب العالمية الثانية وألمانيا تمتلك كم هائل من الطائرات الحربية بينما دولة بريطانيا العظمى لا تمتلك هذا الكم من الطائرات والحرب دائرة بينهم مما أظهر التفوق الألمانى فى الحرب جويا فما كان من القائد العظيم عند شعبه وين نستون تشيرشل إن أتى بأحدى المسئولين فى سلاح الجو وأمرهم أن يصنع فى كل شهر ألف طائرة لمواجهة التفوق الألمانى فصاح الرجل فى وجهه صيحة مدوية ونباهه أن القوانين فى بريطانيا لا تسمح بذلك بصناعة ألف طائرة فى الشهر ولكنه كان أمر لا يقبل المناقشة أو التأويل فلما نفذ هذا الأمر وأيضا تم إختراع الرادار لمواجهة الغارات الجوية الألمانية المكثفة التى كانت تضئ سماء لندن، كسر وين ستون تشيرشل القوانين البريطانية التى لا تسمح بذلك صناعة ألف طائرة فى الشهر فكان له النصر والقدرة على المواجهة تلك هى المعانى التى تجسد أن تحطيم الروتين أحيانا كثيرة ما يفيد وينفع لأن القوانين كثيرا ما تكون جامدة صارمة أما روح القانون الذى إذا راعاه الجميع لكان أفضل لجميع الشعوب وهذا مثالا لنا جميعا كالآلة التى تطبع حتى لو كان الذى تطبعه فيه خطأ.

إكتشاف علاج جديد لمرض السرطان هو أكتشاف ينبئ بالخير ويسعد قلوب كثيرة لأن التبـرأ من المرض سـعاده لا يعلمها إلا المرضى هذا الإكتشـاف يتلخص فى انه الجديد من نوعه وهى لا زالت فى مرحلة الظاهرة الكيميائية وفى طريقـه للتحـول إلى عقـار (حبـوب) يستخدم العلاج والظاهرة التى أكتشـفها الدكتور مصطفى ونال بـها أرفع وسـام فى العلوم بـأمريكا تؤكد أننا أمة بـخير ويمكن بـفضل عقـول أبـناءها التى توجد عندهم ملكة الإبـتكار قد استخدم هذا العالم الكبير فى إكتشـافه على النانوتكلونجى وهو علم تصغير الجزئيات أكثر الى مسـتوى النانوتكلونجى يسـاوى واحـد مليار من المتر والمعدن المسـتخدم والمصغر هو الذهب الذى له خاصية تحويل الطاقة التى تسلط عليه إلى حراره مع الإستعانة ببعض الأدوية الهادفة ومزجهم يمكن من خلاله قـتل الخلايا السـرطانية، قـد أثبـت الأكتشـاف فاعليته على حيوانات التجارب والأمل أن تنتقـل تجربـته إلى الإنسـان ولكن ذلك يحتاج إلى سـنوات عديده حتى يصبح وسيله أمنه للعلاج فهناك فرصه فى العلاج المهدف الذى يمارس حاليا وهو تحجيم الخلايا السرطانية ووقف نشاطها وتهذيبها ومنع تكاثرها ومنع التوالد والإنتشار أما الاكتشـاف الجديد للعالم المصرى فهو يعمل على قتل الخلايا السرطانية فى موقعها والتخلص منها نهائيا، لا شك أن الأمل سيصبح أكبر عند تلاحم الظاهرة الكيميائية مع العلاج المهدف ستكون النتائج مبـهرة من مسـيرة بـدات أكثر من نصف قـرن لمحـاولة القـضاء على هذا المرض ودحـره والتخفيف من الآلام عن كاهل المريض وعلينا أنتظار الجديد دائما والقريب أن شاء الله.

الفقراء والمهمشين هو شعار وتعبير سائد تلوكه الألسن كثيرا فى الآونة الأخيرة وأصبحت من المفردات الرائجة فى عصرنا الحالى الفقراء هى كلمة معرفة للجميع القاسى والدانى أما كلمه المهمشين فتحتاج إلى توضيح أكثر هل الفقراء هم المهمشين جائز بتعبير آخر لان الفقر عند بعض الناس يهمش الإنسان منذ العصور البائدة والحاضرة ومنذ قديم الأزل هذه وجهة نظر عند البعض وان كانت خاطئة لأن المال ليس كل شئ فى الدنيا، أما إن كانت كلمة المهمشين لها دلالة أخرى فليوضحوا لنا معناها فهذا يجعل لنا حق التفسير والتأويل لهذه الكلمة كل على هواه قد تكون معناها الذين ليس لهم دور بارز فى بعض الأمور المجهولين المنسيين وأحيانا كثيرة ما تفسر كلمة المهمشين بالمغمورين البعيدين عن دائرة الضوء ومحل الإهتمام كلها تفاسير تجوز لهذه الكلمة التى يجب أن تغيب عن قاموسنا واحاديثنا وحوارنا لأنها كلمة شائكة تصيب البعض منا بالإستياء والإكتئاب لأنها يجب ألا تتداول بهذا الشكل المقزز وإلصاق صفة التهميش للبعض هى صفة ذميمة لأن الإنسان مهما يكن كل إنسان فى الحياة غالبا ما يكون له دور وإن كان دور بسيط فهو دور يؤديه على أكمل وجه فيجب أن نحترمه ونقدره على هذا العمل ولا نحقر العمل البسيط أو نقلل من شأنه فهو يكمل الحياة بهذا العمل المهم الكفاءة فى هذا العمل فإذا اشتغل كل الناس بالأعمال الهامة والحساسة التى يدعونها كذلك فمن يقوم بالأعمال الأخرى المهم هو إحترام الإنسان لنفسة وعمله وحسن سلوكة هذا هو المقياس الحقيقى للإنسان والنهج القويم الذى تقبله الفطرة الحسنة السليمة دعونا من المظاهر والتظاهر فالإنسان ذو الشخصية السوية هو الأفضل كما قال علماء النفس وعلماء الإجتماع والباحثين والمختصين فى سيكولوجية الإنسان وهو أخر ما توصل إليه هؤلاء الباحثين من نتائج عميقة فى تحليل خصائص الإنسان وطبيعته.

الحوار الدائر بين الشرق والغرب باختصار شديد حوار الأديان فى العاصمة الاسبانية مدريد وتتبناه منظمة إسلامية عالمية حميده فى مسعاها ومقصدها لا تريد إلا وجه الله وحسن التعايش بين اصحاب الملل والنحل والديانات المختلفة وخرجت الآراء المختلفة ورأى البعض من الباحثين الغربيين أن الطرفين الشرقى والغربى يسيران فى خطين متوازنين لا يلتقيان لعدة أسباب أهمها أن الطرف الغربى حين يتحدث عن الإسلام يعنى حال الإسلام الحالى المعاصر والممارسات العنيفة له فى العالم المعاصر ويعمم هذه النظرة على الجميع، والطرف الإسلامى يخوض حديثه فى تعاليم الإسلام ويلجأ إلى سرد النصوص المقدسة (القرآن الكريم) والروايات المأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح فى منطقهم ونهجهم القويم، فهم يرون الفرق بين الطرفين الشرقى والغربى هو الفرق بين العلمى والنظرى القول والتطبيق الأقوال والأفعال.

والطرف الإسلامى يتكلم عن ما كان يحدث فى القرون السحيقة وهم يتكلمون عن ما يحدث فى الوقت الحاضر ويرون أيضا أن النصوص الإسلامية متمثلة فى تعاليمها هى نصوص بليغة وحكيمة وصالحة لكل زمان ومكان ولكنها غير قادرة على تغيير سلوك معتنقيها وتترجم التسامح والتراحم بين البشر هذه الآراء تعبر عن أصحابها فقط إذا قسنا العملية بالحسابات الدقيقة فاننا نرى أن أعمال العنف التى تحدث فى العالم فهى من قله بينما العالم الإسلامى يمثل ثلث سكان العالم أكثر من مليار ونصف نسمة فهؤلاء جميعا ساكنين آمنين لا يتحركون ولا تصدر منهم أى أعمال عنف أو تخريب فى العالم ويعيشون حياة طبيعية اى أن الغالبية المسلمة فى العالم قانعة وواقعيين فى نظرتهم وفى حياتهم يمارسون عملهم وطقوس دينهم فى سلام وأمان دون الإضرار بالغير أو التعدى على حرية الغير ودينهم لهم فى سلوكهم وأخلاقهم، أم التعميم من جانب الغرب فهو الخطا الجسيم الذى يقعون فيه ويصورون الإسلام على أنه مصدر العنف فى هذا العالم متناسين أن هذا العنف الذى يمارس هو فى حقبة الخمسين سنة الحالية ولا تزيد عن أكثر من ذلك لعدة أسباب سيدركها العالم الإسلامى لمحو هذه الصورة ويظهر الجوانب الحسنة للإسلام من الأغلبية الساحقة التى تدين بهذا الدين وتعتنقة من المليار والنصف فى هذا العالم.

حيرة أمر الإنسان العربى والمسلم تنادى الدول والحكومات العربية والإسلامية مثقفيها ومتعلميها وقادتها بالتعليم والثقافةأن تنتشر وتشمل جميع سكانها ومواطنيها وجميع من يقطن ويقيم فى ديارها من أبنائها وغير ابنائها، هذا نداء رائع وجميل وسامى فى حد ذاته لعلو شأن العلم ومكانته كأحد الركائزالهامة للرقى والتحضر.

وحماية النفس وغيرها من المزايا التى لا تعد ولا تحصى كما قال الشاعر قديما الناس موتى وأهل العلم أحـــــياءلكن هناك على الجانب الآخرأراء تصيب بالإســــتياء والزهق والشعور بالملل كلما حاولت أن تعالج أمرا يكون له آثار ضارة جانبية وتكاد تكون ليس لها حل بعض الآراء البحثيه من عالم جليل يقول أن الإنسان العربى والمسلم عندما يتزود بالعلم والثقافة الواسعة تجنو منه الكثير من الكلام لأن العلم والثقافة يجعله يركن إلى الخلود إلى الراحة والهدوء الزائد عن الحد كالمحيط الهادى بلا امواج ويصيب جسده الوهن والضعف ولا يقدر على اى عمل يدوى ويأبه فى كل الأحوال.

ويصبح شخصية رقيقة حساسة لا يقدر على خوض الصعاب ويفتقد ملكة الجسارة والاقدام

تلك هى أحدى التحاليل السيكولوجية للشخصية العربية والمسلمة إذا طفح بها كيل العلم والثقافة والمعرفة آراء من بعض المختصين هى نظرة غير ثاقبة ودقيقة وليست معممه كما نجدها كذلك ومحدودة جدا أسبابها أخرى غير العلم والثقافة والمعرفة.

إن العلم والثقافة والمعرفة ينتج عنها حيوية مفرطة ونشاط زائد وضجيج وصخب فكرى بين مفكر وأقرانه وحركة ورغبة ملحة وجامحة كى يحقق أفكاره التى تنصهر داخل عقله وتحاول الخروج كالبركان فى أى وقت ودون إذن العلم كله حيوية وتجديد والتجديد بعينه لان بعض الناس تحب العلم أكثر شئ فى الحياة لان العلم دائماً ما يأتى بالجديد والجديد هو أجمل شئ فى الحياة لأنه ينعش العقول والأجساد والمشاعر ويجدد النشاط وينسينا كل متاعبنا ويجعل الحياة معنى وطعم سواء كان علم تكنولوجى أو علم أدبى أو فلسفى أو علوم روحانية دينية فهى كلها علوم.

غلبة التفكير الأسطورى على التفكير الواقعى أو بنظرة أخرى التفكير الخرافى الخيالى والإقتناع به وترك الوقائع المادية الملموسة هى أحدى الفوارق والهوة السحيقة بين بعض شعوب الشرق والغرب كما يراه بعض الباحثين،التفكير الاسطورى الذى يسيطر على عالمنا من وجهة نظرهم هو تصديق وسماع وقبول اللا معقول ونسجها لمعالجة معضلات إجتماعية وأخلاقية تؤرقهم ولم يجدوا لها حلول غير نسج خيوط الاوهام والسباحة فيها كمخرج من المآزق الصعبةالحلول،والفكر الإسطورى يتمثل فيما يدعون بسحر الشرق الذى تعج فية الحكايات والأساطير المختلطة التى تصدقها تلك الشعوب وتعيش هذه الأساطير بينهم كانه الواقع يتناقلونه عبر الأجيال ويتوارثونه ويتندرون بها مؤثرين فى مجتمعاتهم بـــإخراجهم من عالمهم الواقــــعى الملموس إلى عالم من الخيالات واللامعقول بعيداً عن الواقع تفنى فيها الأزمنه والوقت الثمين سدى دون منفعة كحكايات السلطان وبنته الاميرة والخادم مرجان كلها نسيج يجر الناس الى عالم محفوف بالسحر والخيال الجميل ولكنه متهم باخراج الناس من عالمهم الواقعى وأيضا متهم بقتل الوقت فى ما لا فائدة وطائل منه وهذين الاتهامين كفيلان بتفشى الرجعية وهناك أراء كثيرة تقول أيضا يا ليال الشرق هل عادت لياليتا فهم يحبونها كما هى بسحرها وخيالها وأساطيرها وعالمها ويعشقون ترابها ولا يتمنونها أن تتغير فهم كالشعب الهندى مثلا عندما زار بلادهم سائح من بلاد الغرب وتجول فى اسواقها واخذ يتافف من رائحة الزيوت والدهون والبخور والتوابل فى أسواق الهند وعندما اصطدم بمواطن هندى لاحظ تافقه والتعبير عن هذاالتافف ما كان أن قال له اذ لم تعجبك احوال بلادنا فارحل منها

بينما كان السيد المسيح سائرا فى طريقه يوما خرج عليه رجل وهو فى طريقه استوقفه ووجه له بعض العبارات وقال يا أيها الرجل الصالح أتوسل اليك أن تقول لى قول أرث به الحياة الأبدية ، فما هى الحياة الأبدية فى وجهة نظر ذلك الرجل الذى يطلب تلك الحياة الأبدية، نحن نراها هى الحياة الدائمة والعيش الدائم، أن لا يذوق الانسان فيها الموت والفناء، الأبدية لله جل وعلا هو الاول والآخر والظاهر والباطن فكيف له أن يشترك معه فى هذه السمة الجلالية الخلود والبقاء ثم ماذا يفعل بطول البقاء والدوام فكثير من الناس بعد تجاوز سن الخامسة والأربعين يشعرون أن الحياة يوم بعد يوم تصبح ثقيلة على كاهلهم لأن الأنسان يشعر أحيانا كثيرة أنه له ردح طويل من الزمن وهو لا يزال على قيد هذه الحياة أنه نام كثيرا واستيقظ كثيرا وأكل كثيرا وشرب وخرج وسافر وصال وجال وتكلم ومارس هذه الاشياء كثيرا حتى أصابه الملل من كثرة التكرار، ولاقى من ضغوط الحياة وآلامها كثيرا وتمنى أحيانا الخروج من هذه المأزق بالخروج من هذه الحياة لأنه مثقل متعب من كثرة ما رأى، أحيانا يتملك الانسان هذا الشعور ولكنه ليس شعور دائم كل هذا بعد أن يتجاوز الانسان الخامسة والاربعين ولا يحدث هذا مع كل الناس، فمن حكمة الله أن الحياة التى يحرص الانسان عليها دائما أن يشعرك الله بالشبع منها وعدم الحرص عليها كما كان من قبل والاقبال عليها والشعور بالفتور منها أحيانا فقد كنا نستبعد هذا الشعور أن يتملكنا أو يتسرب الينا، ولكن هى حكمة الله التغيير مستمر، والى النقيض أحيانا كثيرة والشق الثانى من قول هذا الرجل الذى يطلب الحياة الأبدية من السيد المسيح عليه السلام أنه قال قول لى أيها الرجل الصالح قول أرث به الحياة الأبدية فكان رد السيد المسيح عليه لا تقول لى أيها الرجل الصالح والكلام مذكور بالكتاب المقدس فهو يرى أن الانسان لا يملك الصلاح المطلق مهما علا شأنه ومكانته وصلاحه فلا يكون الصلاح مطلقا أن الله وحده هو الذى يملك الصلاح المطلق فهو وحده الذى لا يخطأ أما الناس والبشر فلا بد لهم من الخطأ فوجود الانسان على الارض نتيجة الخطأ والخطأ وارد وان كنا نعترف بتفاوت الخطأ من انسان لأخر.

كنت أتصور أن الكراهية شعور صبيانى يذوب مع اعتلال السن وتقدم العمر وبصمة الشيخوخة وترهلات الجلد ، وان التجارب الكثيرة جديرة أن تقتلع جذور الضغينة من القلوب، كنت أتوهم أننا اذا كبرنا كبرت مشاعرنا وازداد تسامحنا وترفعنا عن الصغائر وان الايام وتعاقبها تعلم الكثير وتغير الكثير فى الانسان كنت أتصور أن سقطات وهفوات الكبار واردة وان أخطاءالصغار كثيرة لقلة التجربة والخبرة ولكن المشهد اليوم مختلف والرؤية معكوسة فنزوات القلة من الكبار ازدادت وأصبحت كثيرة مشينة تخجل وتصدم وتصيب بالالم والحزن كنا نعتقد ان هذه القلة تحلوا وارتدوا وشاح الحيادية والنزاهة والعدل ولكن هيهات رغباتهم متوحشة وطموحاتهم جامحة وانصالهم حادة باترة، كنا زمان نحتكم الى الكبار والمسنين فى النزاعات ونتوسم فيهم التجرد والبعد عن الاهواء والاطماع لاننا كنا نعتقد أن الشيخوخة تنزع من القلوب الحرص على المتع مقابل اقصاء الحق والعدل السن له هيبة كبيرة ووقار واحترام حتى الشرائع الالهيه والقوانين والدساتير الوضعية أهابت ووقرت الكبار وجعلت لهم مكانتهم فلتبقى لهم مكانتهم الرفيعة التى تحتلها تلك المرحلة من العمر التى ننظر اليها بقدسية وجلال واحترام ونعقد عليهم الآمال فى التزودمن حكمتهم وتجارب السنين التى أمضوها وامتصوا من خلالها كنوز المعرفة الحياتية والحكمة فى معالجة الامور، لكن دائما القاعدة ليست ثابتة والاستثناء موجود والشذ والنشاز لابد منه، المهم أن القاعدة العريضة بخير والاغلبية والاكثرية كما نحن نتخيل عند حسن ظننا وتوقعنا، هذه المعانى توضيح لشطحات بعض الكبار أحيانا وشرودهم عن المألوف الذى أحيانا يشعرنا بالاستياء والملل، لكن لتبقى لنا الصورة المعتادة المعممة للكبار الحب والخير والعدل والسلام تلك الصورة عالقة فى اذهاننا.

الفساد الاخلاقى من وجهة نظر بعض الباحثين فى الغرب ليس الفساد الجنسى كما نعتقد نحن لانهم يرون أن هذا الفساد لا يضر بالغير خاصة اذا كان طواعية من كل الاطراف، لان الطامة الكبرى عندهم هى الضرر بالغير وايذائه أما الفساد الخلقى عندهم التجنى على الحريات وحجبها واغلاقها وتكميم الافواه وسدها ومصادرةالاراء وتغيبها والفساد الخلقى أيضا يتجسد فى العنف والعدوانية التى تمارس أكثر عند الشعوب، وأيضا الفساد الخلقى هو غياب الضمير على مستوى الافراد والجماعات وطمسها فى غياهب تضر العامة والاغلبية والخاصة فهم يرون نتائج كل هذا مجتمع محلل مفكك لا يقوى على التقدم عند هذا تكتمل رويتهم ونظريتهم فى مجتمع الاخطاء الكبيرة ومجتمع الاخطاء القليلة فهم يمثلون فى الغرب مجتمع الاخطاء الصغيرة ونحن مجتمع الاخطاء الكبيرة المتمثلة فى سلوكنا وسلوكهم الذى ذكرناه سالفا، مع ايمانهم التام والكامل بان الخطأ هو حليف الانسان وقرينه الذى لا بد منه مع الفارق فى الخطأ الكبير والخطأ الصغير الاقل فداحة الذى هم يمارسونه فى العالم الغربى والخطأ المؤلم الكبير الذى يمارس فى عالمنا نحن وهذا يعتبرونه سر الفارق بين الشرق والغرب الذى يغيب عن أذهان كثيرة فى العالم الشرقى، فالجميع عندهم شركاء فى الخطأ الذى قدر للإنسان الذى لا فرار أو فكاك منه مستندين إلى أن حياة الإنسان على الأرض هو نتيجة الخطأ الذى وقع فيه أبونا آدم فحتما وعوده إلى علم الوراثة الذى يقتضى بتوريث الخصال والأفعال إلى كل السلالة وتعاقبها عبر الأجيال إلى ما لا نهاية إلى يوم القيامة الخطأ الكبير والصغير يتمثل فى تريثهم وتهورنا ظلمنا وعدلهم واستخفافنا بحقوق الغير واحترامهم لحقوق الغير غرورنا وتواضعهم طمعنا وقناعتهم هذا هو تعريف الخطأ الكبير والخطأ الصغير الذى نمثل نحن إحداه وهم الآخر.

الصحفية الإنجليزية الشابة بالدتى تلجراف عادات تسلط عليه الأضواء من جديد وتجرى معها الحوارات والأحاديث وتطارده عيون كاميرات المصورين عقب عودتها من رحلتها الشاقة التى خاضته والتى كانت روح المغامرة تحركها ورعونة الشباب الطائش تتملكها وتستبدها وتسيطر عليها وعلى جميع أفكارها حين بدأت رحلتها كان الجميع يعتقد أنه مغامرة من صحفية شابة طموحة تهوى المغامرة والبحث فى غياهب المجهول، تبحث من خلال رحلتها إضافة إلى رصيدها الصحفى الضنيل تدخل من خلاله التاريخ من أبوابه الواسعة وتتبوء مكانة الصحفى المغامر الباحث دائما عن الحقيقة والمتاعب، بالغوص فى أعماق المجهول والذهاب إلى عالم محفوف بالغموض يسوده كما يعتقد قانون الغاب والبقاء للأقوى، المرأة هناك على حد معلوماتها عبء على الحياة ثقيل يريدون أن يخفوه دائما ويحجبوها عن الأنظار ويحددون لها إقامتها الجبرية، ذهبت وهى تحمل بعض الأفكار والآراء، ولكن ما حدث هناك بالضبط هذا ما سوف نعرضه ونقدمه فى إيجاز لعل نخرج من أحداثه بحكمة حيث أن القصة تدعو للتوقف والتأمل والعبرة وفى الحياة الكثير والكثير راحت ترتب أوراقها وأقلامها وتعد أشياءها الصغيرة لترحل إلى عالم لا تعرف مصيرها فيه سوى أنها تعود بالسبق الصحفى وتفوز بالغنيمة الدسمة التى لم يتطرق إليها أحد من قبل تدون ما رأته على أرض الواقع وتترجم ما تعرضت له هناك بدأت رحلتها بالحصول على تأشيرة دخول إلى باكستان لصعوبة دخول أفغانستان فى هذه الظروف ولكن هناك كان موعدها مع القدر وأشياء ليست فى الحسبان، ركبت على ظهور البغال تعبر السهول والوديان فالطريق هناك ليس محفوف ومفروش بالورود والرمال الناعمة إنما محاط بالمخاطر والآلام، الطرق هناك وعرة جداً والوصول إلى العاصمة كابول مغامرة لا يقدم عليها أحد خاصة فى هذه الظروف ولكنها كانت رغبة ملحة لديها وهى محملة بروح التحدى والوصول إلى الهدف مهما كانت التضحيات - فى طريقها إلى هناك ارتدت الزى الإسلامى المعتاد هناك النقاب كى لا ينكشف أمرها مثلها مثل النساء الأفغانيات ولكن رجال الطالبان كشفوا أمرها وأقتادوها إلى هناك حيث أودعوها فى إحدى المعسكرات رهن الإعتقال وإعتبروها جاسوسة ولكن ما دار هناك هو اللغز لقد

قدم إليها أحد رجال طالبان بعرض، هو الدخول فى الإسلام ولكنها دعته أن يتركها وشأنها ويمهلها قدر من الوقت كى تدرس هذا الدين وتتعمق فيه وتتأمله قبل أن تعتنقه وتدخل فى زمرته، راحوا يقدموا إليها الطعام والشراب ويلبوا إحتياجاتها وطلباتها ويعلموها بعض الطقوس والعادات، وبعد ثبوت عدم تورطها فى أعمال التخابر والجاسوسية، وتأكدوا أنها مجرد صحفية مقامرة تهوى العيش فى خطر، والبحث عن المتاعب، ثم أطلقوا سراحها وتركوها ترحل، بعدها عادت إلى بلادها لتصمت قليلا وتخرج لتفجر مفاجأة جديدة وغريبة بالنسبة لهم هى إشهار إسلامها وإعتناقها الإسلام لتعود لدائرة الضوء من جديد ومعها تساؤلات كثيرة وإجابات أكثر وأعمق.

تحرير العقل وإعطاؤه الأولوية والسبق هو رأى الفلاسفة الغربيين ورأى المتأثرين به فى الشرق عامة والشرق الأوسط خاصة، فالفلاسفة والعلمانيين الغربيين أصحاب هذه الفكرة التى روجوا لها قبل النهضة الصناعية الكبرى فى القرن التاسع عشر ومن منطلق أن تحرير العقل يجلب الرخاء ولا يضع قيود على البحث العلمى و التطور التكنولوجى المتطلعة لها الشعوب جميعاً على الأرض ماذا يعنى هنا تحرير العقل من وجهة نظر فلاسفة وعلمانيين العالم الغربى والشرقى أيضاً، ألا يعوق البحث العلمى قوانين وشرائع الأديان هذه الأبحاث أو تنال من حريتها فى البحث أو تقف حائلا أمامها وفصلهما تماما عن بعضهما البعض مع الإحتفاظ بالقيم الدينية كحضاره عرفت الإنسان بالخالق وبالرسل المصطافين، تحوير العقل وإعطاه الرجاحة المطلقة و الإصغاء إليه جيداً، وإستنتاجاته فى التدبر والتفكير ومعالجة كل الأمور من منطلق العقل وحده وإسناده مقاليد كل شئ دون اللجوء إلى أشياء غير محسومة أو تعاليم مفروضه، مع إعترافهم بنسبية العقل ومحدوديته، إلا أنهم يأملون أن تغيب هذه المحدودية ويكون سلطان العقل هو القوة الوحيدة السائدة المسيطرة فى هذا الكون، لكن تحرير العقل كما يدعون يخرج المارد من معاقله لينطلق إلى الإبداع والإبتكار الذى يسير سبل الراحة والرفاهية، قد دافعت على هذه النظرية ثورات وانظمة حاكمة أوروبية من أجل ترسيخيه وترويجيه حتى لو على حساب المعتقدات الدينية والجوانب الروحية لدى الشعوب والأمم، ولكن هنا لابد أن يكون هناك وقفة ونظرة ثاقبة وفاحصة فى هذه الأمور ودقيقة، أن الأديان لا تجافى العقل خاصة الإسلام ولم تقلل من شأنه بل العكس ترفع من شأنه وتعلى من قدره وتحث إليه فالقرآن الكريم لم تخلو آياته من الحث على التعقل والتدبر والتفكير أى أنه أطلق للإنسان حرية أن يتعقل (أفلا تعقلون) وأن يتدبر وأن يتفكر (أفلا يتفكرون) ولكن الإسلام يعترف بنسبية العقل بمحدوديته كما هم يعترفون بذلك وأقروا بذلك كثيراً ولم يمانع الإسلام العلم والتبحرفيه إلى أقصى الحدود الممكنه بل أنه يدعمه ويعترف بفضله شريطة أن لا تتدخل فى عملية الإيمان بالله أو النكران أو الجحود بنعم الله وفضلة لأن قضية الإيمان بالله مفروغ منها أن العقل والتفكيرلا يصل إليه مهما يكن العقل لا يصل إلى معرفة الله وحدة سبحانه وتعالى لأن الإيمان بالله لا

بد أن يكون له أنقياد تام دون مواربه أو مناقشة إستسلام، دون هذا لم يصل أحد إلى الإيمان، دون تمرد وإستعمال العقل، الإيمان حس فطرى ليس للعقل أى دور فيه واللجوء إلى العقل إضاعة للوقت فى آية من القرآن الكريم تقول (إستجيبوا لله والرسول) يعنى هذا الكلام أن للإنسان الإستجابة والمضى فى طريق الله والرسول ولم تقول الآية فى قضية الإيمان بالله إبحثو، الإيمان لا بد أن يكون الإنصياع لله هو الأول حتى لو كان الإنسان عقلانى وسيأتى الإيمان والأدلة.

نظرية ميكافيلى الغاية تبرر الوسيلة فى دراسة لأحد الباحثين المتعمقين داخل أغوار النفس البشرية، أن النفس البشرية فاقت كل الحدود فى غرابتها وفى تقلبها وكل ما يخطر على البال، حيث أكد الباحث فى دراسته المتأنية أن نظرية ميكافيلى ورأيه أن الغاية تبرر الوسيلة هى صفة يتمتع بها نصف سكان البسيطة الأرض المعمورة وهو نهجهم وسلوكهم الذى ينتهجوه فى حياتهم، ونضرب فى ذلك الأمر أمثلة كثيرة بما يحدث على الخريطة الدولية من تغلب المصالح والمنافع الإقتصادية على كل القيم الراسخة سواء كانت أخلاقية أو روحية أو مصلحة من أى نوع، هناك مثال على صحة القول لكنه ليس معمم فى نظرية ميكافيلى أن الغاية تبرر الوسيلة عندما يتم ضبط شحنة أدوية مستوردة من الخارج والشك الذى تم من الجهات المختصة بأن هذه الشحنة من الأدوية تحمل فى داخلها الفيروس المسبب لمرض الكبد (فيروس سى) ويتم تحليل هذه الشحنة حيث ثبت خلوه من فيروس سى ولكن اتضح وجود أجسام مضاده داخل شحنة الأدوية المرسلة من إحدى الدول الأجنبية وثبت أن الأجسام المضادة التى فى شحنة الأدوية هى ضارة بجسم الإنسان وتم إرجاع الشحنة، هذا يثبت أننا غير آمنين فى ما نتناوله من طعام وشراب وأدوية إلا إذا خضعت للفحص والتحليل الدقيق يثبت أيضاً ضلوع فكر ميكافيلى فى هذه القضية التى نطرحها الآن فهذه الشعوب المرسله للشحنة الضارة لها أهداف أيضاً فهى ترى فينا أمم ضارة تعكر صفو حياتهم وتنغص عليهم الإستمتاع بالحياة فى هدوء دون إزعاج فلذلك يجب التخلص منهم بأى طريقة وإزاحتهم من الطريق، ومن قبل النفايات التى كانت تلقى فى مياه البحر المتوسط عن طريق سفن عند شواطئ دول معينة من قبل الكثير والكثير هذه هى فلسفة الشعوب عندما تشعر بالخطر على مصالحها تقلب المنضدة على الجميع غريزة حب البقاء ودحر من يحاول النيل أو الإقتراب من ممتلكاتها أو تهدد وجودها فى الحياة بأفضل صوره هناك أيضا بعض العلماء له رأى فى قضية مرض الإيدز، قالوا هؤلاء إن مرض الإيدز هو عبارة عن ميكروب بيولوجى سلاح ضمن الحرب البيولوجية التى تشنها أمريكا فى حالة الحرب، إن هذا الميكروب تم تخصيبه وصناعته فى المعامل الأمريكية ويعيش فى جو ملائم له داخل المعامل وتشنه أمريكا فى الحرب لتدمير القوة البشرية فى حالة الحرب وأنها جربت هذا السلاح على سجناء داخل بلادهم ووعدتهم

بالعفو عنهم بعد قضاء ربع المده، ان الخطر يحاصر الإنسان من كل الجهات ويرجع السبب إلى نظرية ميكافيلى هى الغاية تبرر الوسيلة فى فعل أى شئ إذا كان الشعور بالخطر قد داهمه.

الشعوب الصفراوية الآسيوية كما يحلو للبعض أن يصفونهم فى دراسة وتحليل لشخصيتها أثبت أنها أكثر شعوب العالم تتمتع بقوة الإرادة والعزم وأيضاً أكثر شعوب العالم إنتماء لأوطانها وأن هذه الأمم والفصيل من البشـــر لا تدخر جهداً إلا بـــذلته من آجل رفعة أوطانهم حـتى ولو إضطروا لبـذل من خاصتهم ممتلكاتهم فهذه الشعوب تتمتع بـنكران الذات وعدم تقـديس الذات، وهى من السجايا التى اعتبروها المهلكة للأمم، والزاحفة بالناس إلى هوة الإنقـراض والتلاشى كالديناصورات هذه الدراسة المتعمقة فى الشعوب الآسيوية الصفراء كما كانوا يطلقون عليهم هم عينه من الجنس البشرى تستحق الإحترام والتقدير والإنحناء إعجاباً وتبـجيلاً على نـهضتهم وسلوكهم الشـخصى الذى يمتاز بـالأدب الجم، وإحـترامهم للأخرين وتقـديرهم للنظم والقـوانين السـائدة فى بـلادهم إلى حـد التبـجيل من هذا المنطلق والتعريف لشـعب يمتاز بـكل هذه الصفات الحـميدة التى نتمناها لشعوبـنا التى أين نحـن منها، من الحـرص على المال والحـرص على المصلحـة العامة ووضعها فوق أى إعتبـار شـخصى عند هذا أتجرأ وأقـول أن السـلوك السـوى على مستوى الأشخاص هو سر التقدم والرخاء والتنمية والسلوك السيئ الردئ هو سر شقـاء وتعاسـة الإنسـان ولا نلقـــى كل العبء على الأنظمة والحـكومات السـائدة، إن العفة والطهر ونظافة اليد والسـلوك الأخلاقـــى عامة وراءه مكافأة جزيله، ويجلب من وراءه الإنســان العزه والكرامة والحياة الكريمة التى يحـلم بـها كل إنسـان، يمارس من خلاله حقوقـه وواجبـاته وكافة ما يصبو ويتتوق إليه، لماذا هم وليس نحـن نتمتع بـهذه الخصال لأننا متعجلين دائماً فى الرزق وفى المجد والشـــــهرة ونرغب ولا نعطى فالذى يرغب عليه أن يعطى أكثر مما يرغب وإدراك هذه الحقيقة والعمل بها بـات ضربـاً من المستحـيل والجنون فى عالمنـا الذى نحـن فيه فالشبـاب فى مقتبـل العمر طلبـاته أكثر من جهده رغبـاته تفوق قـدراته وتحـكمه فى هذه الأمور شبـه مستحـيل لأنه قـليل الصبـر ينظر فى ما يد غيره فإما يتسـرب إليه اليأس والإحبـاط وإما يضل وينحرف كى يصل إلى غايته والإعتدال تاريخه إلى غير مسمى.

غاية الصوم وشهره الذى أقترب ودنا أوشك على الحلول فمرحباً به شهر كريم لو أحسنه الإنسان فهى من المنح المانحه من الله للإنسان وغايته أدراك قيمه الساميه النبيلة التى ترتقى بالإنسان وروحه وتجعله فى حالة من الهيام تحلق فى الآفاق ترفرف سعيدة، لأنه عباده تقرب وكل العبادات تقرب فالتقرب هى المغزى الحقيقى الذى يجهله البعض لأن الأكثر قرباً وتقرباً إلى الله هو الذى يمنح السعادة الحقيقة فى الدنيا والآخرة والعبادات كلها تقرب يمارسها الإنسان على حساب نفسه ورغباته يقهره ويدحره من أجل خالقه وبارئه لذلك يكافئه الله سبحانه وتعالى، وجعل الصوم والذكاه والحج وكلها أمور فيها مشقه لينال الإنسان القربه إليه سبحانه وتعالى وعندما ينال الإنسان القربه يمنحه الله ويهبه النعم والسكينه وراحة البال.

الصوم من اجل العبادات وافضلها فيه منع للطعام والشراب تقربا وصوم الجوارح (اللسان واليد والعين والفرج) وكلها فيها الصبر والمثابرة والجهد.

أما صوم القلب فهو فى مراتب العلا والحسن الذى ينشده الإنسان صوم القلب وهو عن الأفكار الدنيئة والرديئة التى تراوده وهى محاولة لدحر هذه الأفكار الدنيئة من القلب مجرد تفكير فى أشياء لا تليق لقلب سليم يرغب فى النقاء والعفه حتى من مجرد التفكير فى القلب هذه غاية ساميه ونبيلة وتحتاج إلى الكثير من الزهد والطاعة والمداومه على فعل الإحسان، والله سبحانه مانح المنح للإنسان فى عز إنشغالة بالحياة اليومية وكسب العيش وتربية الأبناء والرغبة فى تحقيق الطموحات الشخصية يأتيه هذا الشهر الكريم فجاة فهى محاولة لاخراج الإنسان من أسرافة مع النفس للعودة إلى الله والإعتدال فى العلاقة مع الله والنفس والدنيا ورغباته هذه العبادة الصوم له غايات كثيرة جداً لا حصر له لمن تفكر وتمعن فى هذه الحكمة وتذكرة الصوم ودعوته للإنسان بان يجعل نور الله فى قلبة يضئ له الطريق فى الدنيا والآخرة وكل عام وانتم بخير بعودة هذا الشهر الكريم فى عطاؤه الجزيل وفى ثوابه الحميد فى مقصده.

الفصل الثانى

معـرفـة بــلا شطــآن

ماهى الحياه المثالية التى يمكن ان يعشها الانسان الان فى هذا العصر الاديان بما تحتويه من مبادى ساميه رفيعة تجعل من حياة الانسان قيمة حقيقية وحياة طيبة فى الدارين الدنيا والاخرة وتطهره وتنقية وتسمو بروحة وترفعه الى قيم العدل والسلام والخير ولكنها فى الوقت نفسه بعض الناس كما يقول بعض الفلاسفة كسوة برداء التشدد والتصلب وعدم المرونة الذى يخلق الصراعات والدموية، الساسة والمفكرون والفلاسفة والمتأملون الذين يقودون السفينة الكونية الان وهم الان فى أيديهم الدفة والشراع المحرك لهذا الكون الفسيح مدعون أن لديهم الحلول الوسط التى ترضى جميع الأطراف وعدم الاسراف ومتهمون بالإفراط فى القيم والمبادىء الأخلاقية الا أنهم يسيرون بالسفينة وتعتريهم الأمواج أحيانا كثيرة من جراء الإفراط وعدم الحزم فى الأمور، حار انسان هذا العصر كما يدعى البعض وليس أمامهم خيارات أخرى فأما هذا أو تلك الامعان والتوغل فى أى اتجاه يخشه الاسراف فى الاتجاهات تراوده وتعتصره الالام والزمن والدهر فى حالة سباق محموم على أوجه المواقف في أيدى من الله أعلم ما فى النفس والضمير، أعلم بالمصير.

من معجزات الإسلام والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الهجرة النبوية لو تأملتها جيداً لوجدنا بها أحدى المعجزات ففيها النجاة من حالة التربص المحكمة التى آتى بها أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحلة الهجرة أيضا فيها معجزة من حالة التعقب السريعة المباشرة التى خرجت لتتدارك الموقف وحسم وبتر هذه الدعوة قبل رواجها وأنتشارها كل هذه الأحداث لم تكن وليدة الصدفة أو هى مردودة إلى آفة الحظ، إنما هى من صميم المشيئة الإلهية ليتم نوره ويخرج الناس من الظلمات إلى النور، الإنتصارات التى تلو الإنتصارات وموقعة بدر وهى أولى المواجهات ونصر الفئة القليلة المؤمنة على الفئة الكثيرة الباغية مالكة العتاد والإعداد والإمدادات، فهذا تأكيد لنصر الله للمؤمنين ولو كره الكافرين (ويأبى الله إلا أن يتم نوره) الذى يريد له أن يحكم ويسود لأن الدعوة كانت تحتوية وتعترية العدل والحق والسلام كانت الإنتصارات تلو الإنتصارات والفتوحات تلو الفتوحات إلى أن عمت أرجاء المعمورة الأرض لإرادة الله فى بقاءه وإعتناقة إلى يوم الدين ثم هناك الكثير أكبر مؤتمر دينى فى العالم وهو حج بيت الله ولا توجد عقيدة تمارس هذا التجمع الهائل على مرئى من العالم كله دليل على تماسك هؤلاء البشر وأعتصامهم بدينهم فى زمن فتر وقل فيه الإحساس بالدين والعبادة هذا دليل على ترسخ مبادئ هذا الدين فى قلوب وعقول معتنقيه وثباته فى نفوسهم دلالات كثيرة على عمق دين الإسلام ودخول فيه أفواج كثيرة وبلوغة المليار نسمة لسمو تعاليمه وتناغم مبادئه للخير والسلام وأيضاً من معجزات الإسلام القدرة لحفنة قليلة من إسقاط إمبراطوريتين عظيمتين هى الفرس والروم كانوا قبل ذلك لا يتخيلون الدخول فى مواجهة مع الإمبراطوريتين وكانوا قلة من الأسراب المتفرقة فى الصحراء تعيش على الفطرة والبداوة المتناهية، والنصر على إمبراطوريات الفرس والروم أصحاب حضارة وتقدم يعد معجزة إلهية لتسود هذه العقيدة وتنتشر، حياة النبى صلى الله عليه وسلم ونجاته من المؤمرات التى كانت تحاك أو هى أيضاً مغزى لإتمام رسالته عصمته من الناس وبلوغه الزيادة عن سنوات عام لإتمام نوره برغم محاولات قتله ودس السم له إلا أنه نجا من تلك المؤامرات لغاية إكمال الرسالة التى آمن به أكثر من ثلث سكان الأرض لسمو الرسالة ونقاءها.

فى زيارة لوزيرة خارجية إسرائيل ليفنى إلى باريس عقب الغارات التى شنتها إسرائيل على قطاع غزة المحتل كان فى إستقبالها مسئول فرنسى رفيع المستوى وبعد المصافحة تمت المعانقة والقبلات ثم الترحاب ما الذى ممكن أن نستنبطه من هذا المشهد الذى كان عبر شاشات التليفزيون، هذا المشهد يدل على عدم الإنتماء الدينى عند النخبة الحاكمة فى إسرائيل والدليل العناق الذى يحرمه كل الأديان السماوية فكيف لهم يروجون ويصدرون للعالم فكرة الدولة الدينية التى يجب أن تسود فى القدس أرض الميعاد كما يزعمون، هذا المشهد يدل على أن النخبة الحاكمة علمانية الفكر والإتجاه ثانياً أين الحاخامات ورجال الدين اليهود بزيهم المميز والذين يتحدثون عن الدولة الدينية وتعاليم التوراة أين هم من المشهد الحار الذى تم بين وزيرة الخارجية والمسئول الفرنسى لم يعبروا عن إستيائهم ويستنكرون هذه المخالفة الدينية والأخلاقية، ولماذا لم يقع صدام بينهم وبين السلطة العلمانية التى تنافى تعاليم الأديان كما هو فى بلدان أخرى ولم يحاولون فرض الدولة الدينية باستخدام القوة والصدام مع الحكومة ما مغزا هذه الأشياء من تصرف حاخامات ورجال الدين اليهودى الذين يرغبون فى إقامة دولة دينية ويروجون لها على تعاليم وأخلاق الأديان كما يدعون فأين هم من إقناع الحكومة العلمانية بذلك بالنصح أو المواجهة هناك تفاسير كثيرة إزاء السلبية أما أن فكرة الدولة الدينية مجرد وهم وتموية سياسى وأما عدم المواجهة حتى لا يصابوا بالضعف أمام عدوهم الأول وهم المسلمين وأما تعاليم دينهم تفرض عليهم عدم الإختلاف مهما كانت الأسباب.

مجتمع الوفرة والرخاء الغذائى الذى يشغل العالم حاليا لاسيما العالم الثالث الذى يخشى من نقص الغذاء وقلته وأيضاً ندرته إن العلماء والخبراء أجمعوا أن الغذاء ضرورى لحياة البشر وأن لا حياة من غيره، أنهم أجزموا بأن الغلاء فى المعيشة الغذائية غير وجوبى، وهو صنيعة توجيهات إقتصادية وسياسية وإجتماعية وثقافية تراكمت عبر تاريخ البشر، أما ظاهرة البيع والشراء وممارسة التجارة فى الغذاء من لدية فائض يبيع ومن لدية ندرة يشترى، كانت الأسواق من خلاله يتم المقايضة أو البيع بالعملة العالمية الحبوب أو الذهب الأخضر الذى أصبح الآن كذلك ظهر مسلسل الإعتماد على الغير والإستجداء (التسول) الغذائى من الأخرين فى إستجلاب الغذاء وإستيراد الطعام وأستطاع تجار البشر أن يفرضوا الشروط ويستعرضوا القيود وأن يحولوا الغذاء إلى سلاح السلاح الأخضر وياله من سلاح أفتك من كل سلاح يستخدمونه للترغيب والترهيب وفرض الشروط والتبعية السياسية لمن يفتح فمه لأدخال الطعام، هكذا أنقلب الحال واستحكمت الحلقات الرهيبة وأمسكت بتلابيب الفقير الذى لا حول له ولا قوة منة هذه الإستغلالية وهوى المصالح الدنوية وتحول الأمر إلى مشهد فريد مأساتة هى ناس يعيشون فى الأزمة وناس يعيشون من الأزمة ولم يكتفوا بإدخال السياسة فى الغذاء وتركيع الشعوب المحتاجة للغذاء وتطويعة سياسيا بل استمروا فى غيهم وجعلوا الظلام دامسا والليل بلا نهار وحرقوا المحاصيل الإستراتيجية ودمروا البذور النقية وجرفوا الضرع الثدية وأتلفوا الزروع الحية تحت زريعة ذكية غير أخلاقية بانتاج الطاقة الحيوية إنتقاما وغلا من إشتعال أسعار مصادر الوقود التقليدية (البترول) فلابد آلا نكتفى بالإنذار لنمنع موجات الغلاء المستمر أن تلحق بنا وتأكلنا النار كماتأكل الهشيم لا سبيل أمامنا فى منع الغلاء أو حتى مقاومتة فهو قادم لا محالة مَا لكننا نستطيع فقط أن نتوقعة ونواجهة برفع قدرتنا الإنتاجية وزيادة كفاءتنا التصديرية والكف عن السياسات الاستيرادية وتغيير أنماطنا الاستهلاكية التقليل منه والتمسك بالثقافة الترشيدية والإبتعاد تماما عن أساليبنا التبزيرية حتى يزداد الدخل وتتراكم الثروة وتتحول من الندرة إلى الوفرة، ونربط الأحزمة كى نعف عن السؤال ونملك القرار.

هل التعصب حقا شئ بغيض يدل على الجهل والغباء والتعصب لجنس أو عرق أو جذور، هل هذا التعصب عادة ما يجلب التخلف والرجعية وتدهور أحـوال من يمارسـونه يؤدى إلى الفقـر ونقـص الرخاء والوفرة فى جميع النواحـى الإجابـة بـنعم التعصب يؤدى إلى كل هذه الأشـياء مجتمعة، دعنا نضرب مثال فى الصدد التعصب لعرق وجنس من الأجناس البشـرية التى تحـيا على هذه الأرض، دولة أفريقـية مثل الكونجو هناك صراع دائر منذ فترة طويلة بـين قبيلتين كبيرتين هم قبـائل الهوتو وقبـائل التوسـتى الصراع لم يحسم بعد حسما كاملاً حيث تمتلك أفراد قبيلة التوستى القوة الضاربـة ذات النفوذ السياسى والعسكرى فى الدولة هى القدرة المسيطرة على مقـاليد الحكم فى البلاد وأخذت تمارس القمع والقهر لأبنـاء قبيلة الهوتو حـتى فروا هاربـين إلى البـلاد المجاورة لهم إلى دولة روندا وهى تقـع شـرق الكونجو، وما كان من هؤلاء الفارين الهاربـين إلا أن أستقـروا واسـتوطنوا فى الغابـات التى تقـع فى دولة روندا، وهم الآن يقـومون بـهجمات خاطفة داخل أرض الكونـجو ويقـومون بـعمليات تخريب تعكر صفو مواطنى قبـائل التوتسـى بممارسـة الهجوم المفاجئ الذى يأتى أحـيانا كثيرة بخسـائر وإن كانت محـدودة والجنرالات الرونديين الذين ينتمون إلى قبـائل التوتسـى فى روندا وقـفوا وقـفة معادية ضد الحـكومة الروندية وراحـوا يطالبـون بـدفع هؤلاء المتمردين إلى الأراضى الكونجلية لتتم محاسبـتهم و إلا سـيعملون على إسقـاط الحـكومة الروندية يعنى قتـال فى قتـال أما هؤلاء الجنرالات الذين ينتمون إلى قبـائل التوتسـى فى روندا نقـلوا ساحـة الحـرب إلى دولة أخرى حـيث معروف أن قبـائل الهوتو والتوتسـى هى مقـره الكونجو مع وجود بـعض منهم وليس بقـليل فى دولة روندا هؤلاء الموجودين فى روندا ويشـغلون مناصب رفيعة فى الحـكومة والجيش إنحـازوا إلى ذويهم وأقاربـهم وشـركائهم فى العرق والجنس هذا يدل على العصبـية للجنس حيث هذا الصراع المحموم بـين قبـائل الهوتو وقبـائل التوتسـى هو قـائم على أيهما يفوز بالسـلطة داخل البـلد ولا تهمهم الكفاءة أو التميز، المهم والضرورى أن يكون لقبـيلة كل منهما سـطوة قـوة ونفوذ داخل الدولة للتفاخر فيما بينهم، هذه السيكولوجية داخل هذه النوعية من البشر لا يهمه الكفاءة والتميز ويأتى وراء هذا السلوك الذاتى النرجسى الذى يعبد الذات ويقدسه الفشل الزريع وعدم مواكبة التطور الإنسانى والفقر وغيره من الرجعية والتخلف هذا بـإيجاز نتيجة التعصب للعرق والجنس وهو أسبـاب تدهور العالم الثالث ولا يرجى منهم تقدما لا إذا تخلوا عن هذه العصبية العرقية والجنسية.

هناك آراء تقول أن الإنسان يولد صفحة بيضاء ناصعة نقية لا يشوبه أو يعكره شئ، وهو الذى يسطر ويسجل تاريخة بيده عبر أفكاره وتصرفه وسلوكة الشخصى البحت ولا تدخل للعوامل الأخرى فى ذلك، وعلى الجانب الآخر هناك رأى مختلف لعلم الوراثة والجينات ترى أن الإنسـان يكتسب أشياء كثيرة من الخصال والطبـاع من أبـاة وأجداده يعنى ذلك أنه مرتبـط بـمن سبقـه من أسلافه يكتسب منهم موروثات كثيرة كالذكاء والدهاء والحلم والكرم والعناد والصبر وغير ذلك من الحنان والجفاء والرقـة والغلظة كل هذه الأشياء تكتسـب عن طريق الجين الوراثى تنفى هذه الصفات الموروثة فكرة الصفحة البيضاء للإنسـان الذى يلتقـط الصفات الوراثية من الذى سبقـوه إلا إذا كان فى الأمر إحـتمال أخر هو أن يكون علم الله سبحـانه وتعالى مسبقاً قبل مولد الإنسان بكل شخص وأحـواله ونيته و فسـاده أو إصلاحـه ما الذى يستحقـة فيضعه فى سلالة صالحـة أن كان يستحـق ذلك ويضعه فى سـلالة فاسـدة إن كان يستحـق ذلك كل هذه الإحـتمالات تنفى رأى الصفحة البيضاء الناصعة التى يولد بها الإنسان والله أعلم وهو العليم الحكيم .

العلوم التخصصية علميا وطبياً والأبحاث والتجارب الجارية ودراسات عديدة متخصصة فى أعماق وأغوار البشرية، والمهتمين بالسلام مع النفس يؤكدون دائماً أن الصحة النفسية هى السعادة الحقيقية التى يجب أن يلهث الناس من وراءه لكى يتمتعوا بحياتهم أنها هى فعلا المتعة الحقيقية التى يجهله الأغلبية السلام النفسى ثبت أن الإحساس بالرضا عن النفس والارتكان إلى القسمة التى أراده الله وترشيد الطموح والحد منه وعدم الجموح به وعدم إستهلاك وتأكل العمر فى الصراع مع الآخرين والتحلى بالعفو والتسامح والتخلى عن الميل العدوانى هو أفضل روشتة علاج لتجنب الإحساس بالقلق والتوتر والإكتئاب والتعرض لخطر الشد العصبى وانفلات الأعصاب لعل ذلك ما يؤكد للبعض إلى صحة الإعتقاد بأن الغنى والثراء والرفاهية هى من الأسباب التى تعجل بنهاية رحلة الإنسان المبكرة وتركة للحياة بإرادته فى حين تؤكد بعض الأراء أن الحياة البسيطة التلقائية الخالية من التعقيدات، والتقشف، مع مظلة من التفائل والرضا هى من أهم العناصر التى تحافظ على الصحة النفسية للناس وتجعل أيام العمر أطول وأكثر سعادة وهناء، الحقيقة الثانية التى لا مفر منها أننا جميعاً معرضون للتعامل والإحتكاك مع مشكلات الحياة وتحدياتها ولكننا منقسمين نصفين متباينين تماما فهناك نوعية من البشر يملكون القدرة على التعامل بتوازن نفسى ومعنوى يقيهم ويحميهم من خطر الاهتزاز وفقدان التوازن، ونوعية أخرى من الناس تعلوا عندهم معدلات القلق والتوتر نتيجة عدم قدرتهم على التكيف مع واقع الحياة، هؤلاء هم الاشقياء والاتعس حظاً، وأفضل ما يصنع صفاء المرء مع نفسة ويخلد إلى التصالح معها يجنبه مخاطر القلق والتوتر أن يكون متسامحا بطبعه معاديا لفكرة العقاب والإنتقام ممن أساءوا إليه، لأن الرد بالإنتقام والعقاب قد يمنع تكرار الإساءة ويحد منها ولكنة لا يأتى أبداً بالخير والحب والتسامح فأن أفضل النصائح التى يجب أن تسديها إلى نفسك قبل أن تسديها إلى الآخرين أبداً بنفسك وأحترم ذاتك وحجم نزواتها وأعتن بكل ما ساعد على الإحساس بالرضا والسلام مع النفس وبناء جسور الحب والصداقة والرفق فى المعاملات المتبادلة والتعاون.

هذه الروشتات صالحة للكبير والصغير والمدير والغفير وللغنى والفقير للوجية والصعلوك .... فكل فى الهم سواء فى القارب معا فى هذا العصر العجيب الذى نشعر به جميعاً.

علم النفس هو علم محفوف بالغرابة والجديد والدراسات والأبحاث تخرج علينا كل يوم بما هو مثير وفيه متعة للبحث فى أغوار البشرية وما فيها من أحاسيس ومشاعر هذا البحث الشيق الذى يغوص داخل النفس الإنسانية ليستخرج أن حديث النفس وما يدور فى خلجاته وهل يحاسب الإنسان عما يدور فى خلجاته، راح فريق من الباحثين يستعرضون مشاعر الإنسان عندما يقابل ويجالس مجموعة أصدقاء وأعزاء يلتقى معهم من حين إلى آخر، هناك سؤال ملح يجول فى خاطر كل منهم عن أحوال بعضهم البعض، ثم تلمع عيون كل منهم بالمقارنة بين أحوالهم هذه المقارنة التى تعقد شئ تلقائى دون شعور تجرى هذه المقارنة بين الناس فى جميع النواحى الصحة والسعادة وأيضا النجاح المهنى والمادى والمالى لا بد أن يأخذ حظه من النظرات والمقارنة وتأتى المراتب الأخرى من حيث الأهمية السعادة الزوجية والإستقرار العائلى والأولاد وما يليه من أشياء كثيرة لا حصر لها أو عد تعقد فى هذه المقارنة الحتمية التى يمارسها كل البشر وعلى جميع المستويات والأصعدة فهى مقارنة مشروعة تدور داخل خلجات النفس فى همس ولا يبوح بها أحد وتخجل النفس من المواجهة بهذة الاحداث والأحاسيس لبعضهم البعض، لكن فريق الباحثين فى الارشاد النفسى يريدون الإمتناع عن هذه المشاعر والأحاسيس وعقد المقارنات التى يجب أن تكون فى السلوك الإنسانى، همست بصوت مسموع جهور وعلى كيف تطلبون من بشر أن يمنعوا أنفسهم من المقارنة بين أوضاع بعضهم البعض وكيف تطلبون منهم صمت الأعماق ويجعلون مشاعرهم لا تتحرك ولا تنبض فهذه المقارنة ليست ضارة بأحد أنها تدور فى خلجات النفس التى لا سلطان عليها ولا سيطرة عليها أنها خارج نطاق الإحتواء والكتمان، وأما مقارنة حالة التدهور التى يشعر بها الإنسان فهى تتوقف على درجات الإيمان بالله سبحانه وتعالى أما كتمان المشاعر فهو الصعب والذى يكاد يكون مستحيل ومن ضرب الخيال ولا قدرة للإنسان أن يفعله،فهذا البحث رغم أنه شيق وله مذاق لذيذ إلا أنه يجب أن يذهب أدراج الرياح وفى مهب الأفكار المستحيلة لأنه ليس فى إستطاعة البشر ومقدور الناس وللطب النفسى أن يحتويه.

تحرير العقل من الأوهام والخرافة فى الإسلام هى إحدى السمات التى أشاد بها بعض المستشرقين والمؤرخين الذين أرخو للحضارة البشرية فى مدوناتهم (قصة الحضارة) كانت الناس تسيطر عليهم فى ذلك الوقت فى أرض العرب الإيمان بالحظ والدجل والتفاؤل والتشاؤم وهى من الأسس والمقومات التى كانت تحرك حياتهم وتتحكم فى مصائرهم، جاء الإسلام ليمحو هذه النقيصة ويعلمهم أن الله الخالق هو واضع القوانين والنواميس المحكمة التى تسير الأمور بدقة متناهية إن هذه الامور من المعرقلات التى تعوق تقدمهم وتحجم من أنطلاقهم نحو الأفضل، أيضاً إشار هؤلاء الباحثين إلى القرآن الكريم على أنه ظل يستثير هؤلاء الناس ويشحذ قرائهم لنحو أربعة عشر قرنا ويشكل خيالهم وأخلاقهم إلى الفضيلة والعفة وعدم الإضرار بالغير إلى كل ما هو يصلح لمجتمعات ناجحة نافعة تعمر الأرض، دور العدل الإجتماعى لم يغفل فى الإسلام عن طريق أموال الزكاة وبيت المال الذى لم يترك الفقراء نهباً للياس والإنكسار وتفشى الإنحراف وأيضاً أشار (وول ديورانت) مؤلف كتاب قصة الحضارة وصاحب هذه الآراء كلها أن هذا الدين هو الإيسر دائماً والخالى من التعقيدات والتكاليف فهو لم يكلف أحد شئ فى ممارسة طقوسه غير الجهد البدنى البسيط الذى فى إستطاعت كل الناس، فليس فيه مراسم أو أشياء من هذا القبيل، فهو هذا الدين الذى حسن المستوى الأخلاقى والثقافى ومنع سلطان القوة والنفوذ فى ظلم الضعفاء من الناس وسلب حقوقهم والجور عليهم وحسن أحوال الأرقاء وهو جمع رقيق الناس الذين كانوا يبتاعون ويشترون فى ذلك الوقت، هو ذلك الدين الذى بلغ به المسلمون درجات من الإعتدال والبعد عن الشهوات بشتى أنواعه وجعل نوع من الألفه والتآلف فى قلوب معتنقيه وباعد عن التناحر والإقتتال من أجل الفوز بالغنائم والسطو على المجتمعات الآمنة فى أسرابها وتحريم وتجريم هذه الفعلة ووضع حد رادع لمرتكبيها، هكذا فإن الإسلام بحق عاد إلى المجتمع بالنفع والصلاح والأمان

وهذا ما ينشدة العالم أيضاً باسره فرض قيم العدل والحق والخير والسلام وما نتتوق إليه نحن جميعاً فى عصرنا هذا لأن القيم هى اللبنه الأولى والأسس التى تقوم عليها الحضارات فى الماضى والحاضر والمستقبل.

هناك تفسير لمستشرق يهتم بأمور الشرق للآية الكريمة فى سورة (البقرة) "ومن أسلم وجهه لله هو محسن فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون" فهو يرى فى هذه الآية إسلام الوجه هو التفويض لله والإيمان بوجود الله الخالق وترك أمره إليه وترك جميع الأمور إليه مع التفويض له.

الإحسان : - وهى معنى كلمة محسن الإحسان فى العمل الصالح والتفانى فيه قدر المستطاع، من جميع جوانب الحياة فهؤلاء لا خوف عليهم ولا هم يحزنون أى لا قلق عليهم فهم أمنين وجزاءهم عند بارئهم لأنهم أسلموا وجوههم لله وأمنوا به وبوحدانيته وقدرته وبعظمته وأحسنوا له فى عملهم فهذا الذى يطلبه الله من عباده وهذه غاية النفس والمرسلين والأنبياء الذى بعث بهم الله للدعوه إلى الخالق والبارئ والقادر، لا خوف عليهم يعنى أن هؤلاء الناس فى مكان آمن ومصيرهم حسن عند الله سبحانه وتعالى ولا يحزنون فى حياتهم ولا يخشون مصيرهم، وأن يدعوا القلق والخوف الذى ينتابهم من حين إلى أخر فى حياتهم الدنيا ويؤرق صفوهم من المصير المجهول والمحتوم فى الأخره، أردنا أن نستعرض هذه الرأى ونضعه فى مصابه الصحيح، وعلى الجانب الأخر فأن أراء أخرى مناهضة للمسلمين ترى وتفسر هذا الكلام من جانب أنه إذا كان الأمر كذلك فأن الإنسان يحاسب كل واحد على حده حسب عمله الشخصى ولا دور للأديان والرسالات والكتب التى أنزلت إذا كان الأمر كذلك تحاسب على عملك فكل واحد هو النبى والرسول المرسل إلى نفسه يوجه أمره لله ويحسن عمله فيلاق الجزاء الحسن فى الآخرة، فالله له الحكمة فى الرسالات والأديان والتبليغ والدعوه إلى الناس من خلال الأحداث والمواقف والمعجزات والقدرات وأن تختلف الآراء فهى صحية وتوضح الأمور من جوانب عديدة وتفتح الأفاق وتنوع الأفكار والآراء فهى حميدة وصالحة للمجتمع لأنها تظهر الثراء والتنوع والله هو الأعلم وهذا الأمر له جهات اختصاص منوط له البت فى الأمور فنحن نعرض رأى فقط من منطلق معرفة ما يفكر فيه الأخر وهو أمر ليس بحرام إو فيه تجاوز أو تعاطف ولكن هو عرض فقط لا غير.

ولد مارتن لوثر فى القرن الرابع الميلادى فى آواخره كان رجلا مجتهداً يحب العلم والإطلاع أيضاً والفكر درس دراسة فى النحو والصرف وفى الآداب والعلوم بعيد عن الكهنوت واللاهوت فى بادئ الأمر وهذه الأشياء نال درجة الأستاذية فى الآداب ثم بعده توجه إلى العلوم الإنسانية، وبعد ذلك توجه إلى الكهنوت وأصبح قسيساً إلا أنه كان يؤمن بالمبادئ الأخلاقية الرفيعة التى تحث عليها جوهر كل الأديان السماوية الإسلامية والمسيحية واليهودية حثت جميعها على الرفعة والسمو عن الرزائل والأحقاد والنقائض ولكن السلوك الإنسانى دائماً وأبداً وغالباً لا يقومه إلا تعاليم الأديان قاطبه صحيحها، فلنرجع إلى ذلك الرجل مارتن لوثر الذى أحب وعشق المبادئ الإنسانية الرفيعة وكاد أن يدفع ثمنه روحه من أجلها فقد توجه ذات مرة إلى روما فى ذات من الأيام معقل المسيحية الغربية وقبلتها وأفزعه هناك ما رأى من قلة الصلاح والإحتشام بين أسراب ورجال الكنيسة فقد رأى فيهم ذلك وأفزعه هذا الأمر كثيراً والأمر الثانى أنه خاصم أحد الرهبان لأنه كان يجوب البلاد ويبيع الغفران (صكوك الغفران) إن الرجل الذى يندم على ذنوب إرتكبها لا يصافيه أبداً بذل الأموال من أجل محو الخطيئة التى إرتكبها، كانت هذه الصكوك تطرح للبيع أمام الناس جميعاً ولم يكن عليك إلا أن تقدم نقودك وتتسلم غفران سيئاتك، أزعجه أسلوب هذا الراهب وأفعاله المسيئة كما أزعجه قلة الصلاح والإحتشام التى وجدها تفشت فى روما إستمرت هذه الأحداث إلى القرن الخامس الميلادى حيث كان مولد مارتن لوثر وراح يجاهد فى آواخر القرن الرابع وهو ألمانى الجنسية، وأتهم مارتن رجال الدين بالثراء والتربح ومن قلة الصلاح أيضاً الذى وصفهم بها.

وراح يجاهر وينصب العداء لأساليب الإبتزاز المادية التى يمارسها هؤلاء الناس وضياع القيم الأخلاقية والدينية التى هى أساس رفعة الإنسان هل يعد تخلى روما معقل الحضارة فى ذلك الوقت عن المبادئ الإنسانية والأخلاقية الرفيعة أدى بها إلى غروب شمس حضارتها يرى البعض ذلك لأن قلة الصلاح والبعد عن الحق والمبادئ تغرب الحضارة وتعطها لآخرين أخذوا بالأسباب وسلكو طرق الحق والفضيلة والنبل هنا المقصد من سرد هذه القصة الطويلة مثل مارتن أمام أباطرة وحكام روما الذين علموا بآرائه وأصر هو عليها وعلى ما قاله أمامهم انه لم يسحب كلمة واحدة مما قاله وأصر عليها وأكدها ولم يخشى من التنكيل به والتعذيب ولكن الأباطرة كل ما فعله أحلو دمه ولم يسعوا إلى حمايته أن أراد أحد أن يقتله وعمد مارتن إلى كتابة التقارير والبحوث ضد المتاجرة بصكوك الغفران،وإنحدار القيم وانحاز الكثيرون إلى رأى لوثر من الناس والنبلاء ووجه نداء إلى أمته أن لا يقف أحد وسيط فى العلاقة بين الله والناس كما فعل رجال الدين فى روما فى ذلك الوقت هكذا دافع عن الحق وعن المبادئ الإنسانية الرفيعة التى تحث عليها كل جوهر الأديان الإسلامية والمسيحية واليهودية لأن البعد عن المبادئ كثيراً ما تعصف بالمجتمعات وبالإنسان.

أعجوبة الدنيا هو لقب أطلق على إمبراطور رومانى إسمه فردريك من أصل رومانى المانى عاش فى العصور الوسطى وقادإحدى الحملات الصليبية إلى الشرق هذا هو الإمبراطور الرومانى الذى أطلق عليه الأوروبيون هذا اللقب أعجوبة الدنيا فهم يرون فى طبيعته وتصرفه ما يستحق هذا اللقب هذا الإمبراطور فعلاً آت بأفعال غريبة عليهم لم يألفوه من قبل إستدعت هذا اللقب، كانت جزيرة صقلية هى ملتقى للشعوب وعمد هذا الإمبراطور إقامة بلاطه فيه والجزيرة من حيث المناخ حارة بالنسبة للدول الأوروبية حيث أنها تقع فى الجنوب رغم هذا إستقر فيها وأقام مقر حكمه فيها وترك موطنه الأصلى المانيا يحكمه بعض أمرائه وأساقفته، فقد مارس أشياء غريبة بالنسبة للأمم الأوروبية، أن تزوج من نساء كثيرة واحتفظ بعدد منهم حسب العادة التركية على حد وصفهم، هو تعدد الزوجات الممنوعة فى العقائد المسيحية، وكان يحفه حراس مسلمين أتى بهم حيث كان المد الإسلامى المعروف فى ذلك الوقت فى أوروبا، وكان يجيد اللغة العربية ضمن اللغات العديدة التى كان يجيدها ويحشد فى بلاطه الإمبراطورى علماء الرياضة والفلك والطبيعة من جميع الأجناس مسيحين ويهود ومسلمين وأسس جامعة نابولى العريقة فى ذلك، أحياناً كثيرة كان يختلف مع الباباوات ويتهكم عليهم فى أمور لم تعجبه، ما يعنينا هنا أن أهل عصره لقبوه بأعجوبة الدنيا وذلك لأفكارة الغريبة والعجيبة وهى كثيرة كان منها علمه بأحوال الطير ودون كتاب باللغة اللاتينية عن الباز(الصقر) فأهل عصره يرون من ضمن عجائبة أنه أئتمن روحه ونفسه للمسلمين وأتخذ حراسه منهم، فلولا أن رأى الأمان عند المسلمين ما كان أئتمن نفسه وروحة للمسلمون، فالمسلمون كثير منهم لا ينقضوا العهود والتاريخ شاهد على ذلك، هنا ما نريد أن نستخرجه ونستنبطه من هذه القصة أن الشعوب الأوروبية دائماً ما تكون حذره من المسلمين إلى عهدنا هذا الذى نعيشة اليوم وهى تضع الحذر دائماً من المسلمين والعرب و هذا الحذر دائماً ما ينقلب إلى عدوان تمارسه الشعوب الأوروبية ضد المسلمين فى أى مكان ونحن نعتقد أن هذه التسمية أعجوبة الدنيا جاءت من منطلق سببان من سلوك هذا الإمبراطور وهو تعدد مرات زواجه وهى عادة مسلمة

والسبب الثانى أنه أتخذ حراسه من المسلمين فهم ينتقدون إتصاله بالمسلمين فى الأفعال التى كان يأتون بها، والمد الإسلامى فى أوروبا شاهد على سجايا المسلمين وشهدوا بـها المؤرخين الأوروبـيين ذاتهم فى مدوناتهم القـديمة الموجودة إلى الآن فى دوائر معارفهم فى آن الفاتحين العرب كانوا أهل عدل وحكمة وكانوا مهذبين بعيدين عن العنف فى أحيان كثيرة.

فى قضية موت جذع المخ المثارة حالياً حول حقيقتها ومدى دقته فى الأوساط الطبية والتشريعية كقانون وأعتباره حقيقة أو عدم إعتبارة حقيقة علمية فى حيث يبنى عليه تشريع يسمح بنقل الأعضاء البشرية فى حالة إعتبارة حالة وفاة حقيقية والأمر هنا بات فى غاية من التعقيد وأصبحت الآراء كلها ما بين مؤيد ومعارض والكل يطرح وجهة نظره من منطلق علمى والرأى الأرجح والأصح الذى فرضته الأبحاث العلمية الجديدة التى أثبتت أن موت جذع المخ ليس موتاً حقيقياً وأعتبرته غيبوبة عميقة ممكن الإفاقة منها وعودة الإنسان مرة أخرى إلى الحياة عودة طبيعية حيث ثبت أن جذع المخ وهو يقع فى المنطقة السفلى للمخ التى تصاب بالتوقف عن العمل والحركة والتوقف أيضاً عن أداء وظائفها كاملة مع ثبوت عمل بقية أجزاء المخ والقيام بدوره على أكمل وجه بدليل قيام الأعضاء العضوية كالكبد والكلى والمعدة وغيرها من جميع أعضاء الجسم بالدور الفعال كما يجب ومن هذا المنطلق إذا تم إستخراج هذه الإعضاء العضوية و نقلها إلى إنسان آخر ستقوم بدورها فى الجسد الذى إنتقلت إليه هذه الأعضاء هذا يدل أيضاً على عدم موت الإعضاء العضوية وأنها لا تزال حية وتعمل، إن تعريف الموت يجب أن يكون مجردا بمعنى أن يكون التعريف للموت دون أى هوى أو غرض أو هدف معين أما تعريف الموت بغرض التمكين من إنتزاع أعضاء حيوية مازالت حية فهو تعريف معيب عار على الإنسانية فالموت هو توقف جميع الاعضاء الحيوية داخل جسم الإنسان عن تأدية وظائفها لفترة تجعل من المستحيل عودتها للعمل ثانية ولا يمكن القول بالموت لفشل عضو منها دون الباقى حتى وإن كان هذا العضو هو المخ أو جذع المخ والغريب فى الأمر أن المريض الذى تفشل كليتاه يسمى مريض بالفشل الكلوى وهكذا، وقد تصدت الجمعية الطبية الكندية لهذا الأمر بهدف عدم التلاعب فى المسميات والألفاظ فى تعريف الموت وإعتبار موت جذع المخ ليس يقينا تاماً أيا كانت الضوابط المحكمة لتقرير أن المخ قد مات أن الحياة أصبحت مستحيلة، فهو مجرد تخمين وحياة البشر ليست هينة، لدرجة أن نضع التخمين فى أولوياته فالحياة الإنسانية ذات قيمة عالية لن تسمح لنظرية الإحتمالات أن تخترقها أو تنال من قدسيتها وأن تعبث بها.

كانت شعوب التتار التى حاولت فى عصور بائدة غزو العالم أجمعه وتكوين إمبراطورية كبرى لهم حينما زحفوا من الشرق الأدنى متجهين صوب الغرب لإسقاط كل الممالك والعروش التى تعترض تقدمهم أو تحاول عرقلة مسيرتهم أو تحاول الإطاحة بطموحهم الجامح الذى تشبع فى عقولهم أصبح لا يقبل التراجع، هذه الشعوب التتارية التى تكونت من قبائل عديدة بدائية من روسيا القديمة والإتحاد السوفيتى السابق هذ الشعوب إجتمعت على فكر واحد وهدف واحد فى بادئ الأمر دائما ما يكون الأمر فكرة ومن الفكرة تولد الرغبة فى التنفيذ كما يقال فى البداية كانت الكلمة منها يخرج إلى حيز التنفيذ، إجتمعت الشعوب التتارية على الفكر والعبادات الوثنية القديمة التى تشرك مع الله آلهة أخرى وبدأت الشعوب التتارية فى الزحف والإنتصارات تلو الإنتصارات يدأ الزهو والفخر يستبد بهم ويتأجج عند قادتهم أخذ هذ الأمر من الزهو زروته وزادتهم شراسة وحماقة إلى حد أنه خرج مثل يقول "هذه هجمة تتارية" دليل على شراستهم وقسوتهم وخروجهم عن المألوف إلى أبعد حد عن الإنسانية والرحمة فى التعامل والحروب وسجل التاريخ أساليب الغلظة والجفاء التى مارسوها فى حروبهم وفى زحفهم صوب الغرب المتجهين إليه ولسنا الآن بصدد ذكر ما فعلوه فالجميع يعلمه تماما ولكن الذى أستوقفنا أن يخرج من بيننا ومن شعوبنا من يقول أن جماعة من الناس لو تماسكو وترابطوا على شئ حتى ولوعلى عقيدة وثنية لحققوا إنتصارات مذهلة كما فعل التتار على جميع الأصعدة وفى كل المجالات عندما يصل الأمر إلى هذا الحد فلابد أن يكون هناك وقفة لأن الترويج لأفكار مثل هذه يعرض الأمة لخطر داهم، أولها مهما إختلفت الأمور حول العقائد والأديان لن يسمحوا بالرجوع إلى فكر والعبادات الوثنية التى تمجد وتتقرب إلى الجماد والشجر والصخور التى ترجع بالإنسان إلى عصور الظلام فتتفشى فيه الجهل والظلم والرياء وكل ما تعرفه عن الجاهلية من فاحشة وقوانين الغاب والبقاء للأقوى وأشياء كثيرة يعرفها القاصى والدانى عن الجاهلية وتوابعها.

المسيحية المتهوده كمسمى له تعريف دقيق محدود يتلخص فى الآتى ذكره هو جنوح الفكر العقائدى المتذبذب ومحاولة إعتناق أكثر من دين على غرار أعمل بالأغلبية يكون واحد صحيح وأيضاً من تعريفاته هى عدم الثقة الكبيرة والمتينة فى الدين الذى ينتسب إليه الفرد منهم فلذلك يؤمن بالمسيحية المتهوده ضعاف الثقة فى معتقداتهم وهى تعتبر فى بعض الحالات حالة مرضية تتميز بالشك فى العقائد الدينية ومن مثلها مثل البهائية فى العقيدة الإسلامية خرجت من عباءة الدين الإسلامى . نعود إلى المسيحية المتهوده كفكر عقائدى فهم يؤمنون بكل ما يؤمن به اليهود إضافة إلى الديانة المسيحية التى ينتمون إليها، فهذا الفكر العقائدى بدء فى الرواج والإنتشار فى الولايات المتحدة الأمريكية وتوغل كثيراً جداً إلى حد وصوله إلى دائرة صنع القرار وأصبح يشكل خطراً داهم على مستقبل العالم بأسره من جراء وصول هذا الفكر إلى أعلى مستوى، ودولة لها الريادة والتأثير على سياسة العالم، أما بالنسبة لفكر المسيحية المتهوده على بعض الدول الأوروبية ومسيحى الشرق فهم يخشون من مغبة تنامى هذه الفكرة الذى يعتبرونها عمل مشين شيطانى إلى حد كبير يجب الإستعاذه منه وأعتبره أضغاث أفكار إجتهادية من جماعة مارقة ومرضى نفسيين لناس لا يثقون فى عقيدتهم ويبحثون عن عقيدة أخرى يرونه ملاذ لهم لأنه من طبيعة الإنسان الأوروبى ما يبحث عن الجديد حيث توجد فى دول أوروبا كثير ما يتمردوا على عقيدتهم يكونوا جماعات ويضعوا تعاليم جديدة للدين أو يحذفوا تعاليم أخرى حسب ما يملى عليهم فكرهم وعقولهم وأهوائهم، يحدث هذا كثيراً فى المجتمعات الأوروبية والأمريكية، يعتبر هذا الجنوح العقائدى ليس غريباً عليهم فهم مجتمعات مجددة حتى فى ما يمس الأديان والعقائد الدينية وقد يرى مسيحى الشرق الذى نعيش نحن فيه، أن الخطر يكمن فى كل الرياح التى تأتى من الغرب وتوابعه، حيث يمثل مسيحى الشرق هم المحافظين على التعاليم والثوابت ولا يغيرونه.

لا للتعصب لشئ هذا هو شعارالرقى والتقدم هو أيضاً رمز وميزان العدالة فإذا تعصبت فقدت العدالة وفقدت النزاهة والحياديه فقدت رضا الخالق العظيم سبحانه وتعالى وتجردت من الحكمة ورجاحة العقل وصواب الراى كما يقول المثل الشعبى الحكيم التعصب أعمى كلمة تفوه بها إنسان يعرف معنى الكلمة عرفها من مخاض تجارب مريره، التعصب يمارســـــه كل الذين لم تنضج عقولهم بعد لم تستوى تجاربهم الشخصية بعد فهو محرقة تنتظر الأبرياء ولهيب يلفح وجوه الكبار وألم فاجع يحيط بالنساء، التعصب غول يلتهم كل بذرة غرستها، ما هو مفهوم التعصب وتعريفه فى حياتنا التعصب هو لعرق او جنس أو لون أول ما نهى عنه دين الإسلام الحنيف وجاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو القضاء على العصبية القبلية فى الجاهلية والفخر بالأنساب والسلالات، بأسلاف أجداده الشم ضالع فخر من عصور الجاهلية نابع بأنهم السادة العظام الجبابرة بنى عيسى بنى المهلهل الكل لهم طايع هذا هو الناموس السائد الذى كان يحكم ديار العرب قبل الإسلام تشدق بالقبيلة وأعراقها وإنحدارها وبطولاتها وحماس وإنتماء أعمى لهذه القبيلة يضيع الحق والعدل تحت وطأة هذا الإنتماء والحماس جاء الإسلام ليخفف ويقضى على هذه الحدة القبلية التى تفتك بالشعوب والأمم من جميع الجوانب فهى تؤدى للتخلف عن الحضارة ومواكبة العصر لما ترى كل قبيلة بأنها تريد أن تتميز عن الأخرى وتنفرد بالريادة والزعامة فى المكان هذا دائما ما يثير القبائل الأخرى وتجعلهم فى سباق محموم على الريادة والزعامة وغالبا ما يولد هذا الموقف صراعات دامية طاحنة تسيل فيه الدماء وتجز فيها الرقاب هذا هو نوع الصراع الدائر فى القارة السمراء إفريقيا صراعات أصلها كلها عرقى كل متحمس لبنى جنسه دون تفكير، ومنقاد إلى هاوية عميقة نتيجة هذا الفكر الرجعى، كانوا العرب كذلك فى الماضى وجاء الإسلام وأول أهدافة القضاء على هذه العصبية القبلية التى عواقبها دائماً أكثر من فوائدها والفائدة الوحيدة من العصبية القبلية أنها تجمع ذوى الأرحام فقط هذه هى الميزة فقط، والنبى الخاتم أدر ك بحسه الفطرى خطورة هذه العصبية أول ما عمل له كان القضاء عليها ليتساوى الناس جميعا فى الحقوق والواجبات ومالهم وما عليهم، وقيام حرب البسوس فى الجاهلية ما هى إلا عبارة عن عصبية قبلية الأمر كان لا يتعدى الحادث الفردى بقيام أحد الأشخاص بقتل ناقة سيدة تدعى بسوس قد تكون غير مقصودة ولكن

لهيب وحماس رجال قبيلة السيدة المدعوم بالعصبية القبلية وإحساسهم بإهانه فادحة لأحد أفراد القبيلة أشعل نيران الحرب لأعوام طويلة حصدت فيها الارواح وجعلت الخسائر هائلة فى الجانبين، الأمثلة كثيرة فى العصبية عند العرب الأفارقة لا حصر لها.

أحد المفكرين الألمان المهتمين بالشرق والعالم الإسلامى على وجه التحديد قد يرى هذا المفكر أن الغرب هو المسـئول الأول على ما أصاب العالم الإسـلامى من رجعية وجمود وضعف رغم وجود عناصر قـوة كامنة تتمثل فى عقـول وكفاءات بشـرية وثروات طبـيعية غنية ومالية أيضاً لما تتمتع بـه من موقـع جغرافى مميز، ألقـى أيضاً المسـئولية على العالم الإسـلامى لأنه أهمل عناصر القـوة لدية لأسبـاب عديدة، فالعالم الغربـى لديه شـعور عميق بـالخوف أن يسـتعيد العالم الإسـلامى قوته ويستجمع قوته وينتفض ليواكب الركب والتقدم التى كانت لديه من قبل واستمرت لعدة قـرون هذا ما عبـر عنه أيضاً احـد المفكرين الإنجليز، إذا المسـلمون فقـدوا ما كان لديهم منذ قـرون من مفاتيح التقـدم العلمى والتكنولوجى فإن تعويض ما فاتهم ممكن وليس من المستحـيل، لذلك فإن نـهج السياسة الغربية الحالية تحجب أسرار التفوق العلمى والتكنولوجى عن العالم الإسلامى للحـيلوله أن يتجاوز المسـلمين حـالة التخلف التى تعتريهم من هذا المنطلق دأب الغربـيين وضع العراقيل والموانع مطبقـين نظرية فوبـيا الإسـلام (الخوف المرضى من الإسـلام) فهم المسـتفيدين من تخلف الأمم لروج إنتاجهم وجعل هذه الأمم طابـور من المسـتهلكين لصناعاتهم و بـضاعاتهم، أن العالم الإسلامى يتمتع بـثروات طبيعيةهائلة لا يجيد المسلمون إسـتغلالها من الممكن أن تدفعهم إلى طليعة الشـعوب الناهضة، وأيضاً حذر هؤلاء الباحـثون من بـوادر يقـظه وإنتفـاضه تجتاح العالم الإسـلامى متمثلة فى تركيا وماليزيا التى أصبحـت كيانات صناعية واعدة وضعت قـدمها على سـلم التنمية والتقدم وحذروا أيضاً من ظهور خبـراء وكفاءات وطبقـات متعلمة لديها تطلعات وطموحـات للحـاق بـعصر النهضة والتكنولوجيا منافسـة الغرب أو سحب البسـاط من تحـت قـدميه مرة أخرى فالحـياة دول والتغير مسـتمر ما دامت الحـياة قـائمة ما كان بـالأمس غير الذى سـيكون غداً هكذا علمتنا الدنيا والحياة.

أفكار بشرية وإنسانية تنتج من أشخاص تراودهم أفكار وتدور فى عقولهم مخيلتهم ثم ينسبونها إلى صميم وصلب العقيدة المسيحية، وهى أشياء بنات الفكر الإنسانى القابل للخطأ، بدأت جماعات تروج لأفكار غريبة وغير منطقية ويتمنون أن تتحقق ومن الممكن لهذه الأفكار العاطفية الهواية البشرية ذو نظرة ضيقة أمام القدرة المشيئة الإلهية، هذه الآراء تتلخص فى أن جماعة من الناس تعتقد أن الخالق جل وعلى سيبحث بطريقة أو بأخرى عن طريق كيف يخلص العالم من الحساب المروع الذى قال عنه الأنبياء والمرسلين خلال دعوتهم إلى الله فى الحياة الدنيا ويجنبهم العذاب الذى سيكون قاس ومؤلم لبنى آدم وأن العطف والرحمة هما الذى سيغلبان ويسودان، إن الله عز وجل سيرحم هؤلاء الضعفاء الذى يقعون فى الخطأ بسهولة لانهم لا يستطيعون منع أنفسهم من الوقوع فى الخطأ الذى هو من سيماتهم الأصلية التى ورثوها من أبيهم الأكبر آدم فلا بد لهم أن يخطأون مثله هذا الإعتقاد خاطئ والترويج له من أكبر الأخطاء التى من الممكن أن يقع فيها الإنسان هذا تشجيع صريح على إرتكاب المعاصي والذنوب إذا كان الله جل فى علاه يبحث عن طريقه ليخلص الناس من الحساب، هذا تشجيع على ممارسة الظلم والجور والفسق وكل الموبقات والمحرمات، يستوى فى هذه المعادلة كل الناس الذين يخشون الله والذين يجتهدون فى الطاعة والعبادة ويعملون بما أمر الله ويجتنبون ما نهى عنه ويعانون فى تنفيذ تعاليم الخالق البارى لأن الطاعة فيها مشقة وليس طريق مفروشة بالورود لأن الله سبحانة وتعالى جعل لهذه الحياة معنى صواب وعقاب وسعادة وشقاء عمل وصلاح دار امتحان ودار اختبار فكيف تكون الأمور بهذه السهولة الحساب يطهر الأرض من الأخطاء التى جرت فيها ويطهر الإنسان ويجعلة أكثر نقاء وشفافية ويبرأه من الذنوب والأخطاء التى اقترفها، الحساب لا بد منه كى ينال المستهترين بتعاليم الخالق جل وعلى مصيرهم، ولا يستوى الخير والشر ويضعون فى قالب واحد، وأحد هذه المعتقدات أمنيات لمجموعة حالمة هى مريضة لا تحب وقع الألم على أحد وترى أن تنفى ما حذرهم منهم الأنبياء والمرسلين هذا الأمر فيه إثم لأنه لا يستوى الذين يعملون والذين لا يعملون وتدعوا إلى الفوضى وعدم الأكتراث والله جل وعلى له فى خلقه أمور وأعلم واليه تسير الأمور اللهم أمنع عنا كل الشرور وجنبنا أى قول إلا قول الحق قول قربنا منك يارب العالمين أمين أن الله أعلم وهو خير الراشيدين إلى الهدى والحكمة يارب العالمين

الأعسر هو الإنسان الذى يستخدم يده اليسرى فهو دائماً ما يستعمل الفص الأيمن من المخ الذى تصدر منه الإشارات الموجهة إلى جميع أنحاء الجسم لعل أسباب ما يتوجه الإنسان إلى إستعمال الشق أو الفص الأيمن للمخ منه أولا وراثى أو خلقى منه الحالة المزاجية للفرد منه أشياء جارى البحث فيه إحتمال ضعف الجانب الأيسر أو تدفق الدم أكثر فى الجانب الأيمن، الأعسر دائماً ما يكون شديد الحساسية ومرهف الحس ودائم التفكير المتواصل الذى لا ينقطع ولا يتوقف إلا بالنوم، دائما ما يكون الأعسر قوى الفكر صاحب أفكار إبتكارية جديدة وأراء عميقة جداً، لكن المفاجأة الجديدة هى أن الأعسر أحيانا ما يصاب بالبلاهة والتوهان فى بعض الأمور وتظهر عليه السذاجة والسطحية فى بعض الأمور أحياناً، والطموح والرغبة فى تحقيق الذات هى إحدى السمات الواضحة فى هذه الشخصية، على كل الأحوال فإن الحياة تتطلب هذ النوع من الشخصية الفذة فى أحيانا كثيرة التى كان لها دور كبير فى تاريخ البشر الذى أثرت على مر العصور فهناك يوجد علماء وفلاسفة ومخترعين وسياسيين كانوا من أصحاب هذه الصفة الأعسر من أمثال بيل كلينتون وكان من السياسيين أن الأعسر ليس عجزاً أو عيب خلقى ولكنه ميول طبيعى فطرى إلى الفص الأيمن من المخ فى التفكير والتدبر والتصرف والإستعمال البدنى كاليد والقدم وغير ذلك من الأشياء وميل طبيعى ليس للإنسان أى دور فيه، فهى شخصية طبيعية وليست شاذة ودائما ما يتصف بالحكمة والقرار الصائب والميل الهادئ والمزاج الراقى وحب للحياة وللآخرين ونبذ للعنف والضوضاء وتعكير الصفو خلاصة القول أن الأعسر شخصية عادية وليست مرضية ويحتاجه المجتمع فى أحيان كثيرة هكذا نلقى الضوء على شخصية الأعسر بكل إيجابياته وسلبياته محاولين إدراك الخلط فى الشخصية بحيادية كاملة لأن يوجد بيننا من هو أعسر من أبنائنا وأقاربنا ونطمانهم بأن هذا أمر عادى لا يعوق الإنسان من أى تقدم أو نجاح فى الحياة بشكل عام وفى جميع المجالات وألا تكون عقدة أو نقص عند أى أحد من هذه الشخصية الأعسر الذى يستعمل يده اليسرى وقدمه اليسرى.

هل نحن فى عصر الكوميديا العلمية أستنساخ قطع غيار بشرية لصيانة الإنسان وترميمه قطع غيار مختلفة مجمعة من عدة أشخاص هذه هى نتائج الأبحاث والمعامل العلمية التى يجرى العمل فيها على قدم وساق، فى معامل بعض الدول المتقدمة بيع وإستنجار للأرحام، برمجة و إعادة الكائنات الحية والخلط بينها لإستخلاص كائنات عجيبة لا بشرية ولا حيوانية تجمع بين هذا وذاك كما تحدثت الأساطير عن الكائنات المخلطة، الأبحاث والتجارب لا تتوقف والمحاولات فى التغير أيضاً لا تتوقف إلى أى درب يسير إليه الإنسان لا نعلم رغم ثبوت أن أى عضو غريب يدخل جسم الإنسان لا يقوم بوظائفه كاملة ولا يؤدى دوره بكفاءة مثل العضو الطبيعى المخلوق فى جسد الإنسان ومن الحكمة الإلهية أن الشئ الطبيعى فى كل شئ هو الأصح والأصلح خاصة فى تأدية وظائف الجسم، من الأبحاث الدائرة التى فاجأتنا به علم الوراثة وأصابتنا بالدهشة ولم تعد المسألة ضرباً من الخيال إنما أصبحت حقيقة علمية ثابته مرعبة إلى حد كبير، هى إمكانية تأجيل الشيخوخة فاثبتت الحفريات التى تكشف تاريخ الإنسان فالجينات تنبئ بمستقبله ليس ذلك فحسب بل تستطيع تغييره مثل الجينات المسئولة عن الذكاء والغباء، عن القسوة والجمود والرومانسية وعن الخوف والشجاعة وعن الإكتئاب والمرح وأن تعالج الغباء والإجرام عند الإنسان عن طريق الإستنساخ العلاجى ... إننا أمام قضايا علمية خطيرة تبحث عن الخلود للإنسان ووضعه فى أحسن صورة غير قابلة للتغير التى فرضه الله على الإنسان لحكمة لا يعلمها إلا هو، لقد جاءت قوة وجبروت الإنسان على حساب إنسانيته حتى الشمس تأثرت نتيجة عبث الإنسان ومحاولته المستديمة فى كل شئ وظهور حالة الإحتباس الحرارى الذى اضر بالكرة الأرضية كلها نتيجة تبخر الحرارة إلى أعلى، هذا ما تؤكده آثار إستخدام التكنولوجيا الحديثة المتطورة فما أصاب البيئة والكائنات الحية الآن من أمراض حديثة وفساد فى الأرض نتيجة حتمية لتخريب الإنسان وعبثه وتجاربه ومحاولته لكن هناك سؤال يفرض نفسه علينا أن هناك أيضاً رأى من حق الإنسان أن يبحث ويتعلم وأيضاً من حقه أن يبحث عن وسائل الراحة والرفاهية عن طريق العلم والأبحاث العلمية وحثته تعاليم الأديان كلها على أن يبحث ويتعلم وللعلم والأبحاث والتجارب أيضاً إيجابيات لا ينكرها عاقل فى مجالات الطب والهندسة والإتصالات وغيرها من العلوم الحديثة التى نحن ننعم بها الآن فالإنسان دائما فى حيرة إلى أن يلقى ربه.

الفصل الثالث

مقتطفات من كل مكان

ما من احد له الحق ان يقتل بإسم الرب هذا هو الشعار الذى رفعه اللقاء او المؤتمر الدينى الحاشد الذى عقد فى مدينة إسبيزى الإيطالية فى الرابع والعشرون من الشهر الحالى، هو اليوم العالمى للسلام وأوصى وأحث هذا المؤتمر فى نهاية إنعقاده على الجميع المجتمعين فهناك من دول غربية عديدة أوصى وأحث أن الديانات السماوية والرسالات جميعاً تدعو إلى السلام ورواجه وتبادل تعاليمه السامية فقط، وأيضاً يهدف الإجتماع المنعقد فى المدينة الإيطالية إلى تعميق قاعدة السلم عند البشر ونبذ الشرور من النفس أو الإقدام عليها، شعارات وتوصيات لامعة وبراقة خرجت من طيات هذا المؤتمر، ولكن الشعار الأهم والأشد جاذبية هو القتل بإسم الرب الذى وصف بأنه جريمة لا مبرر لها وأن جميع الدوافع مرفوضة للقتل بإسم الرب أو إرضائه بهذه الوسيلة، الكلام سهل والشعارات أيضاً كذلك ولكن التطبيق هو ما يكون صعب تطبيقه فى جميع أمور الحياة، هذا المؤتمر بجميع توصياته أو آراءه يجب أن يوجه إلى الصهيونية العالمية بجميع بروتوكولاتها التى تامر وتستبيح القتل بإسم الرب فى جميع بنوده التى تحث أنهم شعب الله المختار وأن الناس جميعاً هم الأشرار وقتلهم هو نوع من الطاعة والتقرب من الرب ويحظى بالثواب العظيم من يفعله، هم أيضاً المحقرين من شأن الناس جميعاً إلا بنى جنسهم، قد مارسوا العداء مع جميع البشر غير العرب منذ قديم الأزل هم فى صراع دائم متواصل لا يكل ولا يمل مع الآخرين، هذا المؤتمر فى تصريحاته أفاض كثيراً إلى حقيقة سامية فى مبادئها عالية فى مضمونها ولكن هيهات بين القول والفعل على جميع الأصعدة العامة والخاصة على مستوى الشعوب وعلى مستوى الأفراد.

ورد فى احد قصص الشرق القديمة هو عالم الشعر والخيال الرائع الذى يخطف الأبصار تسبح فى عالمه الذى يخرجك من الواقع ويريح عقلك الذى أصابه الضنى والوهن أن ملكاً شاباً تملكته الرغبة الملحة فى إستقصاء أخبار الماضى السحيقة فارسل فى طلب علماء وأمرهم أن يكتبوا التاريخ الماضى كى يتصفحه ويطلع عليه ويتعظ من غيره، ويعلم أحداث الأولين التى لا تخلو من المغامرات والصراعات وبعد عدة سنوات إستدعى علماءه وسألهم ماذا فعلتم فى هذا العمل المضنى الذى كلفتم به وبشئ من الرفق بحالهم وجسامة العمل الذى وكلوا به أخبروه بأن العمل تم إنجازه فى فترة وجيزة وهى عشر سنوات فشكرهم على كدهم فى هذا العمل، فأشار إلى لحيته الشيباء وجسده الذى أصابه الوهن وبصره الذى كاد أن يعشى ورجاهم أن يضغطوه فى ثلاث مجلدات ثم إلى مجلد واحد فقط ولم يكن للملك وقت ولا قوة تعينه على القراءة المتأنية لإستذكار أخبار الماضى جيداً ثم ذهبوا العلماء إلى الحضره الملكية يحملون مجلد واحد لخصوا فيه أهم الأحداث التى حدثت عبر التاريخ الإنسانى لكى يطلع عليها الملك المتوج الذى ولع بالماضى وأحداث التاريخ، فقال لكبير العلماء قل لى يا من قضيت عمرك فى هذا العمل الشاق لخص لى فى جملة واحدة ما إستفدت به من أخبار الماضى فكان جوابه يا مولاى ما إستفدته كثير وإختصاره فى جمله واحدة صعب ولكن الملك أصر على قوله و على الإختصار فقال يا مولاى الملك تعلمت أن أجيالاً كثيرة من الناس ولدوا وكدوا وتعبوا وأحبوا وتألموا وسعدوا وماتو وطويت صفحتهم إلى غير رجعة إلى هذه الدنيا هنا عقب الملك وكان ذلك محقاً، إذ كان فى إمكانه أن يقول ذلك دون عناء ومشقة، عند ذلك رثا الملك قصر حياة الإنسان وطول التاريخ.

العقل هو المحك الحقيقى للحكم على الأشياء فى أمورنا وهو دستور الحداثة والتقدم، والإعتماد على العقـل والعلم للسـيطرة على الطبـيعة وتطويعها لخدمة الإنســان، وذلك بتطبـيق المنهج العلمى الرصين تعنى هذه النظرية التى بـرزت فى المجتمعات الأوروبـية من قـرون عديدة ومعمول بـها إلى وقتنا هذا الإعتماد الكلى والمطلق على الفكر الإنسـانى والثقـة بـه إلى درجة كبـيرة ناسـين إن العقـل قابل للإصابة والخطا، وترك كل الأمور غير المحسوسة والملموسة التى تحض عليها المعتقدات وتؤكد بان هناك ما هو الأكمل والأقوى وهى قدرة الخالق سبحانه وتعالى، هذه النظرية برزت عندما وقف رجال الدين فى مجابـهة العلم الحـديث واعتبـروها علماء الحـداثة محـاولة سـيطرة على مصائر البشـر وهيمنه، ورفض لتطويع العلم فى خدمة الإنســـان فهم يرون لا غضاضة فى العلم ولا ضرر منه بـــل يوفر سبل الراحـة والرخاء والمعرفة الذى ينشـده الإنسـان دائما وهو ليس محـاولة للتدخل فى الشـأن الإلهى وإدعاء القـدرة لتسـهيل الحـياة حسـب أهوائهم أو مماثلة القـدرة الإلهية كما يدعى أهل الدين، والتطرق إلى الكون وأسـراره التى لا يجب على البشـر المحـاولة فيه، ولكن ديننا الإسـلامى الحـنيف حـث على العلم والمعرفة فى أول سـورة له "إقـرأ" أى أعلم واطلع واعرف وكلها كلمات تمجد العلم والمعرفة وأيضا فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم سيدنا محمد عندما سألوه عن أمور تخص الزراعة ونضج الثمار ومواعيدها وأساليب رعايتها كان النبى هو القائل للناس أنتم أدرى بشئون دنياكم هنا ترك لهم النبى الحرية فى فعل ما يرونه صحيح وأصلح فى هذا الأمر الذى هو من أختصاصهم ومارسوا العمل فى هذا المضمار وهم أعلم ويحق لهم أن يفعلوا ما يريدون إذا ترك الأمر لأهله شئ وارد ويجب أن ينفذ دون فرض وصايا للفرقـة أو فريق حتـى ولو كانوا أهل الدين كما فعل رسـول الله، والله يحـث على العلم وهو أصدق من قال "إنما يخشى الله من عباده العلماء" أى أنهم أشد الناس خشية ومعرفة بالله.

دعونا نكون وطنيون متتمون مخلصين لأوطاننا أولاً ثم مسيحيين ثانياً هذه الجملة قالتها شعوب أوربية فى القرون الوسطى فى أوروبا قبل بدء النهضة الحديثة بقليل جداً لخلاف ونزاعات فيما بينهم نريد أن نتوقف أمام هذه العبارة كثيراً، ما فلسفة هؤلاء الناس من هذه العبارة التى تحمل مدلولات كثيرة وتفسيرات أكثر وتتطلب التحليل السيكولوجى والنفسى لها... هل الإنتماء للأوطان والمكان يقدم على العقيدة الدينية ويكون له الأفضلية وإستدعاء الوحدة والقوة والتقدم والإزدهار من أجله عن طريق التكاتف على المصلحة المشتركة ووحدة المصير، وتأتى المرتبة الثانية فى الأولوية الدين والعبادة هل هذا هو المنطق المقصود من هذه العبارة التى قالتها شعوب أوروبية ليست بعيدة المدى وليست حديثة العهد بالأديان وتعاليمها.

وسرد هذه القصة غير مقصود بها أى شئ أو الترويج لأى شئ ولكنها فكرة ولغز عجزت عن تفسيره وتوضيحه وتحليله، وإن كنت أرى فيه لغز ومعنى فهذه العبارة مترجمة حرفياً عن أحدى الكتب فى التاريخ الغربى القديم ولكن يوجد هاجس أو محاولة للتفسير وهى قلة وضعف الإيمان عند هؤلاء الأشخاص الذين كل ولائهم وإنتمائهم للأوطان التى تجلب لهم الخير والرخاء والرزق، فهم ولائهم للماديات المحسوسة أولاً ودون ذلك من روحانيات فهى فى المرتبة الثانية، فهى لا تعطهم نتائج إيجابية فى الحال كما هى فى الأوطان التى تقام فيه الزرع والحصد المباشر من الخيرات التى دائماً هى الهدف الأول عند أغلبية الشعوب والبشر عموماً هى العجلة الذى تميز به الإنسان على مر الدهور والعصور وجنا وجلب منه الآلام والأحزان وتؤكد هذه المقولة قول القرآن الكريم "بسم الله الرحمن الرحيم (ويحبون المال حباً جما) صدق الله العظيم".

هذه هى الحقيقة المؤلمة التى لا مجال لنكرتها أو التنصل منها أو تجميلها فالشعوب لا تطيق الصبر على الرزق لذلك يركبون قطار العجلة وقطار العجلة دائماً ما ينزلق من فوق الشريط الحديدى المخصص له وينقلب ويحدث خسائر جسيمة.

اللغة العربية لغة غنية بالمعانى والمرادفات ولها تذوقها وجمالها الخلاب الذى يشد ويسحب الإنسان إليها، يلوك الكلمات والحروف، تتخلله النشوة والإنتعاش من وقع هذه الكلمات التى تدغدغ المشاعر وتأسره كما تأسر القلوب، ثراء اللغة العربية بالمفردات والمرادفات من سر عظمتها، وعمق تصريف اللغة وإعرابها دليل عمقها، ووجود الكلمة بأكثر من معنى إحدى ملامح ثراء اللغة وحيويتها، مثالا على هذا الكلام أن الكلمة لها معنى وكلمة أخرى أدق فى المعنى مثالا ما الفرق بين كلمة تفسير وتأويل، كلمة تفسير تعنى توضيح شئ معين أما تأويل تعنى أيضا توضيح أشياء غامضة غير معلومة، مثال أخر ما الفرق بين العفو والغفران، العفو دائما ما يكون عن صغار الإخطاء أما الغفران تعبر عن الأخطاء الجسيمة الفادحة، أما الفرق بين الظلم والجور، فالجور دائما ما يكون فى أمر محدود أما الظلم فهو شامل ومعمم على أشياء كثيرة، الفرق بين الحياة والعيش، الحياة للإنسان المتفائل المقبل على الحياة المنظمة المخطط لها أما العيش دائما ما يعبر عن اليأس (العيش وخلاص) ليس على هوى العائش، هكذا فاللغة العربية كلماتها تشمل أكثر من معنى ومعنى أدق هذا هو ثراء اللغة، أيضاً الفرق بين بلى ونعم الجواب بلى لا تكون إلا جواباً لما للإستهجان والقرآن الكريم يقول فى آياته (الست ربكم قالوا بلى) هنا بلى بإراداتهم يقولونها أما نعم فتكون للإستقامة والطاعة لله تعالى (فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم) ما الفرق بين الحزن والهم الجواب أن الحزن دائما ما يكون على ما فات ومضى أما الهم هو ما نحن فيه وهو فى المضارع المستمر لا يزال موجود ولن ينقشع الهم لازال جاثم على الصدور وينتظر الإزاحة وأخيراً ما الفرق بين الوجع والألم، الوجع معمم ويشمل أماكن كثيرة أما الألم فهو محدد فيمكن أن يكون فى الذراع فقط او فى الرأس فقط او فى المعدة فقط، أما الفرق بين الفرقان والقرآن فهذه لا نفتى فيه والله أعلم فى هذا الأمر.

إذن كلمات اللغة العربية تحمل أكثر من معنى أدق واوضح.

معاجم اللغة العربية ذاخرة بكنوز المعانى الرقيقة والمرهفة التى تجعل للغة جمالها وتذوقها الرائع وما أجملها من لغة مسترسله جذابة نغم عند السامعين.

فى أثناء الحملة الفرنسية على مصر كان عدد سكان القاهرة العاصمة مائتان وخمسون ألف مواطن أو نسمة هذه الإحصائية إن كانت صحيحة يعد هذا الإحصاء الديموجرافى للسكان وعلم الإحصاء السكانى يطلق عليه الإحصاء الديموجرافى منذ أكثر من ثلاث قرون مضت أو أكثر قليلا يعنى هذا أن الكثافة السكانية لها دور كبير فى دحر أى عدوان مهما أمتلك العدو من عتاد وأسلحة حديثةتصور لو قامت أى دولة أجنبية بغزو أى دولة ذات كثافة سكانية رهيبة ستفكر آلاف المرات قبل الغزو، لأن الكثافة السكانية التى تعمر الدولة المعتدى عليها وستكون من العوامل التى ستؤدى الى إرهاق الدولة المعتدية وتكبدها خسائر كبيرة فى الأرواح والعتاد والسلاح، من الناحية المادية والإنفاق ستكون الخسائر أكبر وأفدح، قلة السكان فى مصر المحروسة والبلاد العربية فى ذلك الوقت إحدى أسباب سقوط الدول فى براثن الإستعمار والإحتلال تحت وطئة الدول الغازية وبدائية أسلحة المقاومة، إن كانت الأسلحة التى نمتلكها اليوم بدائية إذا قارناه بما هم يمتلكون إلا أنها تحدث خسائر هائلة، فقط تكون الدولة الغازية منتصرة إذا إستعملت السلاح النووى المحرم دوليا نعود إلى نقطة البداية وهى إذ كان عدد سكان القاهرة منذ ثلاثة قرون أو أكثر قليلاً مائتان وخمسون ألف مواطن فكيف كان عدد السكان منذ أكثر من ستة قرون مضت سيكون العدد قطعاً أقل من مائتان وخمسون ألف مواطن إذا هذا يدل على أن الحياة كانت جديدة وعدد سكانها قليل والإنسان كان حديث العهد بالدنيا والحياة وكلما توغلنا فى القدم سنجد أن عدد السكان كان أقل إلى أن نصل إلى عهد عصور الأنبياء كانوا الناس أقل هذا يدل على أن عهد الرسل والأنبياء كان عدد الناس قليلا والله له حكمة فى ذلك، الحروب التى كانت تدور فى تلك الحقبة كانت أفرادها تصل إلى أقصاها إلى عشرة آلاف جندى، كانت أيضاً فى تلك الحقب الأراضى شاسعة لا تجد من يسكنها أو يزرعها ويجعلها قابلة للحياة من الأدلة فى سعة الأماكن أن البيوت القديمة كانت واسعة بها فناء كبير وردهات واسعة وغرف واسعة أما اليوم مع الزيادة السكانية فقد ضاق كل شئ المنازل والشوارع والأراضى الزراعية وزحف العمران إلى الصحراء فلم يبقى مكان إلا دبت فيه قدم الإنسان ترى إذا أستمرت الحياة إلى قرون عديدة وأستمرت الزيادة السكانية بهذه المعدلات ستحدث فى الدنيا تغيرات عظيمة وجليلة سبحان الله هو العليم وهو الحكيم.

مساكين أباؤنا وأجدادنا الذين سبقونا كانوا يعيشون دنيا ثقيلة الدم، تخلو من المفاجآت والأحداث المثيرة الجديدة والمبهره الذى نتطلع إليه كل يوم كانوا يتمسكون بالقيم والمبادئ الأخلاقية التى يرونها اليوم كثيرا من أبناء الجيل الحالى سذاجة لا تغير هيكل حياتهم ولا تخرجهم من الحياة الرتيبة التى فرضت عليهم ونالت من لحظات السعادة فى حياتهم التى يجب أن يعيشوها... مساكين أبائنا وأجدادنا وأسلافنا فاتت عليهم أشياء كثيرة، خانهم الحظ لم يلحقوا بالتطور العظيم الذى نتمتع به هذه الأيام، كانوا يعيشون فى عصر بدائى وحياة بدائية، كانوا لا يعرفون كيف يتمتعون بساعات الفراغ كانوا يضيعون الوقت فى قراءة الكتب كانت تنقصهم شجاعة الراى كنت من النادر أن تسمعهم يصفون مسئولا بأنه يتربح من المال العام كانوايتصورون ان هذه الكلمة من أدبهم الجم لا تطلق إلا على الذى حكم عليه القضاء بأنه سارق كانوا يظنون أن كلمة خائن كلمة نابية، مساكين أباؤناوأجدادنا الذين سبقونا كانوا يعيشون حياة كلاسيكية رومانسية يعتقدون انهم أبطالها أن الصبر والمثابرة والكفاح هى الوسيلة الوحيدة للنجاح وإثبات الذات يعتقد بعض ابناء الجيل الحالى أنهم كانوا واهمين وخياليين فى ذلك وأن العصر الحديث فيه وسائل أقصر للنجاح وإثبات الذات، كانت الشوارع الواسعة التى يسيرون فيها لها أثر ودور كبير فى نمط حياتهم هذا راى الجيل الحالى، أن هذه الشوارع الواسعة والأماكن الخالية دائما لم تعلمهم العنف والكذب والخداع، كانت رواتبهم هى المصدر الوحيد، أما العصر الحالىكثرت السبوبات والفهلوه والحصول على المال الكثير بسهولة متناهية وبأساليب عديدة كانوا يقدرون الآخر ويتوسمون فيه الخير، أما بعض أبناء الجيل الحالى حذرون من الآخر يتوقع منه الخيانة قبل كل شئ هذه بعض الآراء التى جمعتها ولكنها ليست من أرائى الشخصية التى أحب أن أدونها فى وقت قريب آخر.

لا أحد فوق النقد لا أحد فوق حرية التعبير شعار وسلاح شهرته الدول المسيئة للرسول و الأنبياء ومن قبل صدرت من إحدى الصحف الهولندية رسوم مسيئة إلى السيد المسيح لم يحرك أحد ساكنا فهم يرون أن الإنسان طالما سارت فى عروقه الدماء فهو يمكن أن يخطأ ولو خطأ بسيط المهم أنه ممكن أن يخطأ ويجد من ينتقد خطاه، فالأب الكبير (آدم) قد أخطأ فمن الطبيعى أن يورث الخطأ حتى يتوبوا مثل أبيهم عن الخطأ والخطأ هكذا مستمر إلى ابد الدنيا كل يأخذ دوره لأن الإنسان عندهم لا يمكن أن يتصف بالكمال فالكمال الإنسانى لا بد أن يكون نسبى ناقص، والكمال التام المنزه عن النقص هو الكمال الإلهى، والله لا يريد لأحد أن يشاركه صفة الكمال المطلق المختص لذاته الإلهية وللبشر التجارب المرور بحالات الصلاح وحالات الضلال على مر تاريخهم وعلى مر حياتهم الشخصية فترات من الصلاح فى العمر وفترات من الضلال فى العمر وهكذا تدور الدائرة ما بين الخير وما بين الشر يمضى الإنسان عمره ما كان يحبه اليوم يكرهه غدا وما كان يكرهه بالأمس يحبه اليوم هذا الفكر والتحليل السيكولوجى من منطلق تقديس الحرية والعقل وما يمليه عليهم، أندهشوا وتعجبوا من الردود الإنفعالية كما يرونه من الرسوم المسيئة للأنبياء، وبلغت الدهشة ذروتها عندما رأو المظاهرات الحاشدة التى تندد بالفعل المشين الذى أرتكبوه سيستمروا والحكومات لم تمنعهم حتى لو حدثت مقاطعة إقتصادية لان إيمانهم بأن القوت والذات الطعام لا يمكن أن يحجم حريتهم أو ينال منها، فإذا حدث هذا كما يعتقدون فإن التخلف سيخيم على حضارتهم التى شيدوها ناسين متجاهلين أن الرسل المصطفين هم من مشيئة الله وحكمته وأن لايترك عباده بغير هدى ولا أن يتركهم نهب لعقولهم التى قد تخطئ وتصيب و يغلبها الهوى كما هم يعترفون بذلك وبالكمال الإنسانى ونسبيته.

باعتراف الإنسان الغربى الحالى أن التقدم الهائل المذهل لم يحقق للإنسان سعادته المرجوه التى يتوق ويصبو إليها وبذل من أجلها الغالى والنفيس ولم ينل إستقراره الروحى والنفسى، هذا التقدم الذى شاع معه التمزق الروحى والخواء الداخلى والغربة داخل النفس البشرية إذا احتوتها ودبت فى أوصالها وما أصعبها وما أكبدها من محنة من آلام نفسية يتجرعها الإنسان، إن هذا التقدم الكبير لم يمنحهم السلام مع النفس والآخرين فها هى الصراعات على أوجها تحالفهم وتتعقبهم مع الآخر والإختلاف ينخرفيما بينهم وبين الآخرين إلى حد نشوب الصراعات الدموية الدامية، التراشق والإتهامات مع الغير فلم يزل الإنسان الغربى لا يعيش الحياة المثالية التى رسمها لنفسه والتى ينعم فيها الجميع بالسكينة والأمان ولا يزال عقله المحدود على حد وصف البعض منهم أن يتوصل إلى مبدأ من التعايش فى هذا الكون الفسيح الذى يسع الجميع، أن الحضارة الحديثة لم تقدم للإنسان الغربى سعادة ولا سلام مع النفس ومع الآخرين ولا بددت خوفه الدائم بما تخفيه الأيام والسنين التى دائماً ليست فى صالحة نتيجة تراكم وتزايد عدد الكارهين، وكثير من الأعمال الفنية وسائر ألوان الفنون والآداب الغربية المعاصرة من الروايات ومسرحيات وأفلام وقصائد شعرية وأوضحت هذا التشاؤم واليأس من الإصلاح والتقويم لحياتهم التى يرون أن الزمام قد فلت منهم وأن هذا النمط من الحياة لا يرغبون فيه وأن تخطيطهم قد باء بالفشل فى الوصول إلى الحياة المثالية التى كانوا يرغبون فيها، أن يعم الخير والسلام والرغبة فى الإصلاح قد فترت تناثرت لديهم لإتساع الهوة والمآسى البشرية قد أدمت القلوب وها هى الحضارة الحديثة أيضاً لم تقدم للإنسان علاقات إنسانية دافئة بين الناس بعضهم البعض كما كان سابقاً إلى حد ما ثم أن الحضارة الحديثة المادية الزاخرة بالإبتكار والتكنولوجيا والعقول المبهرة إلى درجة التعجب لم تخلص الإنسان الغربى من أحزان نفسه وتمزقات روحه وخلجات قلبه التى ترى فى أعماقها أن العدل والخير والسلام هى أنبل وأسمى مما حققوه ماديا وعلمياً.

وعلاقتهم بالشعوب الأخرى خاصة العالم الثالث هى علاقة تقوم على النفور والتوتر والريبة وعدم الإطمئنان لأن حضارة الغرب لم تثمر أهدافا روحية رفيعة حتى بالنسبة لهم فهذا ليس معناه الرضا بالواقع الذى نعيشه ونمتدحها ونثنى عليها ونرفض التقدم ومواكبة العصر الحديث بكل منظوماته وأساليبة الحضاريةالمبهرة وإبتكاراته النافعة التى علمت وثقفت كل المجتمعات الإنسانية وجعلت من العالم قرية صغيرة بين يديك حلقة متصلة لا ينكرها عاقل أو جاحد فى هذا الوجود فضل الحضارة المادية العلمية على البشر الذين الآن ينعمون من فضلها بالرفاهية والتسلية والنهل من جميع دوائر المعرفة بأساليب مبسطة وسهلة فى إستطاعة قدر كبير من البشر ولكن المقصود هنا أن أى تقدم يفقد الإنسان سعادته وسلامه النفسى لا قيمة له.

الصفات الوراثية تتغير مع الزمن والأمد الطويل نتيجة الظروف المختلفة التى تعيشها الأجيال المتعاقبة، ليست الصفات الوراثية التى نرثها عن ابائنا وأجدادنا صفات أبدية نحملها حتى أخر العمر أو هى صك مدموغ لا يمكن الفرار أو الفك منه فقد ثبت للباحثين أن لمكونات الوراثية لأى شخص تتغير على مر حياته وأن خريطة الجينوم البشرى ليست ثابتة على النحو الذى نظنه هذا ما يفسر ما أكده الباحثون وجود عوامل وراثية سطحية تتأثر بالأحداث التى تقع على الإنسان خلال رحلة حياته وهى التى تغير العوامل الوراثية فى السلالة وتأتى بمورثات جديدة لم تكن موجودة من قبل ولكنها حديثة المواقف والصدمات التى تحدث للشخص بما أن كل العوامل النفسية والسيكولوجية ثبت أنها ناتجة عن وظائف المخ العضوية وأن الأمراض النفسية والعقلية نتيجة قصور فى وظائف المخ والعلاج بالعقاقير هو الحل الأوحد فى حالة الأمراض العقلية والنفسية والعلاج الروحى والعبادات هى أيضا لها جدوى فى هذه الحالات وبات التحليل النفسى ولرواسب الإجتماعية دور محدود فى هذا المجال أما الصفات الورثية سالفة الذكر هى أيضا تقع تحت هذ التحاليل والأبحاث فى كونها تتغير، والسلوك الشخصى عند الأفراد والجماعات يتغير نتيجة تغيير الصفات الوراثية الأفضل فى بعض الحالات وإلى الأسوء فى بعض الحالات نتيجة المتغيرات التى تحدث للشخص فى حياته المتقدمة الذى سيورث لأجيال جديدة صفات وراثية جديدة بدأت من شخص ما وتتناقلها الأجيال التى تعقبها من خصال وطباع جديدة طرأت على السلالة لاختلاف الظروف الحياتية التى تعيشها الأجيال المختلفة.

إن العلماء أصبحوا يولون أهتماما أكبر للمتغيرات الورثية عير البنيوية أو التى تتغير مع الزمن فهذه هى المسئولة عن ظهور عوامل وراثية إضافية إلى السلالات البشرية المرضية والصحية والحسن منها وغير ذلك لأنها تؤثر عضويا ونفسيا إضافة إلى الطباع والسجايا والخصال وهكذا فان العلم دائما ما يأتى بالجديد الذى يبهرنا ويأخذ عقولنا نفكر دائما فى أمرنا.

هناك آراء كثيرة عن الإطلاع والقراءة والمعرفة منها قول حكيم مصرى قديم أوصى إبنه فى وصية مدونة على ورق البردى منذ آلاف السنين قال له (يابنى ليس هناك شئ تعلو منزلته على الكتب وضع قلبك خلف عقلك لكى تستريح لأن القلب يتبع الهوى أما العقل فيحكمه المنطق والتفكير) وهناك أيضاً قول فيلسوف فرنسى يقول (من يقرأ لا يهزم لأن القراءة دائما تجدد العقل والفكر وتنشطه وتأتى بالحلول لكل المعضلات والمشكلات التى تصادف الإنسان فى الحياة) وهناك أيضاً رأى لأحد حكماء العرب القدامى أن من أراد أن يحيا حياة صالحة عليه بالمعرفة والإطلاع والقراءة لأنها تمنح الخلق والنبل والتواضع وهى أهم السمات التى تسمو وتعلو بالنفس البشرية عن النقائص والضغائن وترفعه إلى درجة الإبتكار والإختراع إلى مرتبة الشخصية السوية الصالحة وسيقال الكثير والكثير عن أهمية القراءة والإطلاع والمعرفة، فهى دائما ما تولد كل هذه الصفات الحميدة فى الشخصية الإنسانية وتعيد إلى النفس حسها المرهف وتولد روح الإبتكار والإختراع، وهى التى تمنح الإنسان أن يعيش حياة لائقة وكريمة، لأنها توقظ المشاعر النبيلة والسامية فى الإنسان وتجعله صحيحا فى نهجه وسلوكه ومن بعدها يغدق الخير والسلام مع النفس ومع الآخرين وكما قال الشاعر العربى قديماً ولا يزال القول يصلح فى هذا الزمان وغيره من الأزمنة وإلى أبد الدهر، قيمة المرء ما قد يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء فقم بعلم ولا تطلب له بدلا الناس موتى وأهل العلم أحياء.

هنا شيد لنا الشاعر فى مطلع القصيدة أهمية المعرفة والتزود بالعلم وأهلها هم الأحياء الذين تتدفق فى عروقهم الدماء وتنبض بالحياة والحيوية.

بذغ فجر الحضارة الإنسانية فى الشرق الأدنى من خلال نظرية تكاد تكون محتملة، صواب أحيانا بإعتراف بعض مؤرخو الغرب والمدونات الموجودة إلى الآن وجميع دوائر المعرفة السابقة والحالية واللاحقة المدونة التى تقر أن الغرب أول ما رأوا الورق كان عند العرب الذين كانوا فى الإندلس العتيقة إستخدموها فى رسائلهم وتعاملهم ومكتباتهم ولكنهم أرجعوا صناعته وتعلمه ونقله من بلاد الشرق الأقصى فى الهند والصين وأيضاً أرجعوا الأرقام الحسابية التى نتعامل بها فى حياتنا اليومية وعلوم أخرى كثيرة إلى الهند، وهى كيان ذات حضارة عريقة ما قبل التاريخ الإنسانى... حسب الحفريات والتراث القديم ثبت أن الإنسان الشرقى هو أقدم من الإنسان الغربى وأن بدايته هى الأولى فى هذا الكون الفسيح فمن الطبيعى أن تبدأ الحضارة من الشرق. ولكنها الحضارات الإنسانية كعادتها غابره لا تدم لأحد تشرق عند أقوام وتغيب عند أخرين، وتنهض عند آخرين وتغرب عن الأولين.

ودروس التاريخ هكذا مليئة بهذا التغيير وعلى الصعيد الإنسانى الشخصى أى فى حياتك اليومية ما ترى أشخاصا يذهبون إلى الظل وفى طى النسيان وآخرين ينهضوا ويلمع بريقهم ويصعدوا صوب الأنظار "هكذا حال الدنيا" ترفع أقوام وتنحدر أقوام آخرين هكذا الأمم والشعوب تنهض عندما تفيق من غفوتها وسباتها وتأخذ بالأسباب تعمل وتفكر وتبدع فحضارة الشرق لا نكران لها ولغات الشرق الأرمية والسامية وغيرها هى نزلت فى الكتب المقدسة وهى لغات إنشقت ونسخت من بعضها البعض وتعددت.

وعندما دخل ووصل الإسلام إلى مصر وعم فى أرجانها، أسفت إمبراطورية الغرب الرومانية فى روما وبلاد الإغريق التى وهنت فى ذلك الوقت على هذا المد الإسلامى ووصفوا مصر التى كانت تزخر بآثارها الفرعونية والقبطية الباهرة بأنها أرض مباركة شيدت عليها حضارة عريقة، هكذا يقروا الإعتراف بحضارة الشرق دون أن يدروا ويؤكدوها... فلما هذا النكران اليوم لحضارتنا الشرقية التى يتفوه بها بعض الغربيون أمثال بابا الفاتيكان ورئيس وزراء إيطاليا بيرلسكونى... دلائل كثيرة أكدوها المختصين فى تاريخ الحضارات وأكد نفر منهم أن قسم وفرع من علوم الرياضيات وهو الجبر لا يزال دارسوه فى أوروبا يستخدمون نفس الكلمة حرفياً وإعترفوا بذلك أن هذا الإسم هو عربى منسوب لعلماء عرب بحثوا فى هذا العلم وتوصلوا إلى نتائج محدوده فيه على حد وصفهم ولكنهم وضعوا البذرة واللبنة الأولى فى هذا العلم والأمثلة كثيرة فى مجالات

عديدة بـزغ إبـداع الجنس العربـى بـإعتراف الأوروبـيين أنفسـهم كالرشاقـة والخفة فى إمتطاء الخيول والحذق والإتقان فى إقامة البساتين والرياحين التى أقاموها فى الأندلس التى كانت تبعث برائحة فواحه وأريج فتنتشر وتسر له الأسارير وتخلب المارة والجائلين فى الشـوارع وإقـامة القـصور الفارهة وحدائقـها الخلابـة والنافورات والحـمامات والمرمريات البديعة التى أشادوا بـها وبإبـداعها فيا أمة الضاد تفائلوا فقد صنعتم المجد والجمال والرقـى والتقـدم من قبل،وأبـدعنا فمن الممكن أن نعاوده مرة أخرى ونكررها مرات أخرى لرقى شعوبنا الظمأه إلى إثبات ذاتها وتفوقها هذا حق مشروع ... ولابد أن نشعر أننا شعوبا لا ينقصنا شئ عن غيرنا فى القدرة على التفكير والإبداع والرقى.

كان الشعب اليهودى يلاقى الإضطهاد فى العصر الرومانى قبل مجئ السيد المسيح إلا أن هذا الإدعاء فيه كثير من المبالغة فقد كان اليهود بذكائهم الشديد يفرضون على الناس والشعوب على مر العصور والتاريخ وقائع وأمور وخيارات رغم قلة عددهم والشعوب أيضا تفرض عليهم وقائع عادة يتبرمون منه ويرفضونه ويعلنون عن رفضهم وتحديهم هذا وكثيراً ما كان الحكام الباسطين سيطرتهم عليهم ما ينزعجون من عدم إنصياعهم لقراراتهم وطريقة حكمهم فكانت العلاقة بينهم وبين الإمبراطوريات المتعاقبة المسيطرة علاقة شد وجذب تحكمه المصالح بين الطرفين لأنهم كانت لهم أساليب ضغط يمارسونها على جميع شعوب العالم منذ القدم الى الآن مازالوا يمارسون أساليب الضغط المختلفة على الشعوب خاصة من الناحية الإقتصادية فهم عرفوا منذ فجر التاريخ البشرى أن أفضل وسيلة للضغط هو عن طريق المنافع الإقتصادية المال والطعام والماء، نعود إلى سابق ما بدأنا أن الحكام دائماً ما ينصاعوا لرغبات هذا الشعب اليهودى وهم مضطرون إلى ذلك نظراً لمصالح الناس والبسطاء الذين يرغبون فى العيش، فى قضية الإضطهاد من الرومان المبالغ فيها التى أقرها أحد الكتاب اليهود قريباً ذاكراً أن الرومان لم ينفو اليهود من الأرض المقدسة ولم يمنعوهم أيضاً من الهجرة خارجها بل تركوهم وشأنهم لهم حق الإختيار فى البقاء أو الهجرة، ولكن هذه الشعوب اليهودية كانت تضمر فى نفسها البغض والكره لمن يحاول أن يفرض عليهم شئ يرونه ليس فى مصلحتهم لذلك كانوا يكنون كل العداء والحقد للرومان لإختلاف وجهات النظر وكل العداء فى هذه الدنيا بسبب إختلاف وجهات النظر ومحاولة طرف فرض رأيه على الطرف الآخر هذا ما يولد العداء بين البشر، قلوب غير مؤلفة هى بسبب نصف صراعات الدنيا والنصف الآخر من الصراعات سببه السيطرة على الثروات نعود إلى قصة هذا الشعب اليهودى والرومان أثناء سيطرتهم على البقعة المقدسة كان الرومان فى ذلك الوقت يعبدون آلهتهم المتعددة المعروفة وكان فى ذلك الوقت اليهود أهل دين وكتاب، كانوا فى إنتظار مولد المسيح المذكور عندهم فى الكتاب ولما ولد السيد المسيح وظهرت علامات نبوءته توسموا خير ورأوا فيه الرجل المخلص الذى سينصرهم على أعدائهم الرومان فذهبوا إليه ولكن السيد المسيح فاجأهم وقال مقولته المشهورة (ما جئت إلى هذه الدنيا لسفك الدماء) هنا ناصبوه العداء ورفضوا رسالته ودعوته وحاربوه إلى آخر ما نعلم جميعاً فى هذا الشأن هنا مغزى الحوار الذى نريد أن نتطرق إليه هو قول السيد المسيح ما جئت إلى هذه الدنيا لسفك الدماء ما زالت الإنسانية لم

تقدر على إستيعاب هذه الكلمة ولا أن تصل إلى جلال وعظمة هذه الكلمة، وما زالت ضعيفة فى تطبيق معنى هذه الكلمة التى لو تمعنوا فيها لقضت على نصف الصراعات فى هذا العالم هذه المقولة بعيدة النظر ليست فى إستطاعة البشر العاديين أن يصلوا إلى جوهرها أو أن يفهموها جيدا.

الإخلاق ليست مصدرها الدين فقط هذا رأى أهتدوا إليه بعض العلماء والباحثين المختصين فى السلوك الإجتماعى للإنسان ملخص هذا الرأى ينحصر فى أنه توجد شعوب كثيرة فى هذه الدنيا لا تدين بدين أو عقيدة ولكن توجد عندها ثوابت أخلاقية وقيم وتعاليم تحث على الفضيلة والسلوك السوى وكذلك الشعوب التى تدين بالأديان كانت قبل الأديان توجد عندها ثوابت أخلاقية وقيم وتعاليم سامية وجاءت الأديان لإتمام مكارم الأخلاق وتثبيتها وكما قال رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم "جئت لإتمام مكارم الأخلاق" وإضافة الجديد والتذكير بالقيم القديمة التى أبقى عليها رسولنا الكريم الحسن منها، والشعوب التى ليس لها دين تحيا أيضا على تلك المبادئ الأخلاقية الموروثة حياة تحكمها الأعراف التى أرساها أسلافهم هنا قصد هؤلاء الباحثين وتطرقوا إلى باب لم يتطرق إليه أحد حسب إعتقادهم وتفسيرهم أن الأديان جاءت بنفس الموروثات القديمة التى كانوا يدينون بها وينتهجونها فى حياتهم وان الفطرة النقية السليمة هى التى لها التأثير الأكبر على سلوك الفرد والناس جميعاً أكثر من التأثيرات الخارجية التى يدعوا إليها البعض هذا الكلام ينقصه الكثير من الحقائق لأن الدعوة إلى المكارم هو تذكير مستمر له تأثيره القوى فى النهج القديم وسبيل الرشد والحكمة، أيضاً الدعوة والدعاة لهم شرائع منزلة من الخالق تضع الثواب والعقاب والصح والخطأ لمن أهتدى ولمن ضل، وأيضاً كانت هذه الثوابت الموروثة من فضيلة وغيرها قبل الأديان كان يأخذ بها أولا يأخذ بها حسب الأشخاص حسب أهوائهم ومصالحهم ولكن الأديان شرائع للتنفيذ واضعة الثواب والعقاب للردع والتخويف والرجوع عن الخطأ قبل وقوعة، هنا نعلم أن الثوابت الموروثة ليست مفروضة فيها النهى والنهر كما فى الشرائع المنزلة فى حالة إرتكاب الأخطاء، والدعوة المتمثلة فى المرسلين لها عظه وعبرة للتعلم والتذكير وكل منا يحتاج إلى التذكير الذى يغير مجرى حياة الإنسان فى أحيان كثيرة إلى الأفضل والأسمى وهناك أمثلة كثيرة فى هذا المضمار نعلمه جيداً وكلا منا رآه فى حياته الشخصية وعلى مدى تجاربه التى عاشها هو شخصياً.

العلم الفقهى الدينى الصحيح هو عصب العقيدة الإسلامية منه ينهل المسلم العلوم الدينية التى تعينه على تطبيق تعاليم الدين ومنه أيضاً تصح العقيدة وتقوى وتقوم عقيدته بعد إطلاعه على علومه من خلال أحكام الفقه التى تعرف الإنسان بصحيح دينه وتعاليمة هى واجب على الفرد المسلم الضالع فى علم ومنهج صحيح العبادة التى تكمل جوانب الإيمان بالله ورسوله وتصونه من السقطات والذلات التى توقع الفرد أحيانا كثيرة فى غلطات تهدم بنيان وهيكل عبادته، فشأن التعليم والتفقة ورد فضله فى القرآن والسنة النبوية المطهرة، للمسلم أن يأخذ منه ما يعينه على عبادته وصلاته وتعامله ويقوم سلوكه، ولأن العلم الدينى بحور لا نهاية لها ولا شاطئ... هو وعلوم القرآن وتفسيره، حدد الإسلام للإنسان المسلم ما يعينه فى حياته اليومية من التعليم الدينى، أجاز للآخرين التبحر والتعمق والإختصاص فى هذا العلم، نسألهم حين نقف أمام أمر حائرين كما كان يحدث من قديم الأزل من يسأل أهل الذكر إن كانوا لا يعلمون، لأنه ليس حكم على الفرد أن يعلم كل شئ فى أمور الدين، هو المطلوب ما يعينه على صلاته وعبادته وسلوكه والباقى لأهل الإختصاص نسألهم إن عجزنا فى أمر ووقفنا أمامه، ولأن تفرغنا للعلم الدينى فقط سيشغلنا عن أى علوم أخرى وهى مطلوبة فى حياتنا الدنيا فى مأكلنا وملبسنا ورقينا وتحضرنا بين الشعوب والأمم فهى تأتى عن طريق العلم المادى الذى لا بد ولا غنى عنه كعلوم الطب والهندسة وغيرها من العلوم التى تأتى بالرخاء والصحة والرفاهية وكل هذه الأشياء اليوم مانراه من الشباب الملتزم بالدين ويرتدى الجلباب القصير و غيره من مظاهر الدين وليس جوهره التى يرى الجميع أنهم يتباهون بحفظ القرآن وبعض القشور التى حصلوا عليها من العلم الدينى ويقدمون بعضهم البعض للإمامة والصلاة بالناس متجاهلين غيرهم من الناس الغير مرتدين نوعية زيهم ولا يسيرون على دربهم، فكلهم أصبحوا بين عشية وضحاها أئمة ودعاة، أعرف بعض من هؤلاء الشباب بعد ستة شهور من ممارسة الصلاة خرجوا لإمامة الصلاة والوعظ وتعليم الناس أمور الدين متباهين ببعض الآيات التى حفظوها وبعض التفاسير التى قرءوها ما هذا الذى حدث؟ .. وأعرف قصة شاب مؤلمة قرأتها فى إحدى الصحف الدينية الأسبوعية، هذا الشاب إلتحق بإحدى كليات القمة "الطب فى مصر" وكان أهله يعقدون عليه الآمال وهذا الشاب ينتمى لأسرة فقيرة وأبوية يأملان منه أن يحسن أوضاعهم ويرفع شأنهم بعدما تعبا فى تربيتة وتعليمه ولكن الشاب خذلهم وأطاح بآمالهم وبدد كل ما كان فى مخيلتهم... كانوا يرونه شاب نجيب يفخرون به، عندما إنخرط هذا الشاب مع غيره من الشباب ذو الجلباب القصير أهمل دراستة وتعليمه فى الطب وأعتلى المنابر وألقى الخطب ووعظ الناس وإلتفوا حوله فى دروس الفقة والدين وكان نتيجة إنشغاله الرسوب فى دراستة الجامعية أترك العلم الدينى لأهله وأخدم الناس فى الطب الذى تدرسه وستمارسه.

الإنسان والعزلة الإجتماعية بين الفلاسفة وعلماء النفس وعينات من البشر أخذت عشوائياً كانت ما بين مؤيد ومعارض ومع وضد، كانت الأراء مختلفة الإختلاف الطبيعى حسب الميول الشخصية والمصالح العامة وهى السمة الصحية التى لابد لها أن تكون وآراء الفلاسفة وعلماء النفس نابعة من البحث والتحليل ولا تخلو أيضاً من التجربة الشخصية وآراء العامة أيضاً والغوص فى معترك الحياة،والفلاسفة وعلماء النفس يرون أن حياة عامة الناس يسودها نوع من الفوضى وقلة النظام وأحيانا إنحطاط الأخلاق عند البعض ولكنها ليست معممه ويرون أيضاً أن نافخ الكير ممكن أن يلقى بجذوة النار داخل طيات ملابسهم، وأيضاً يرون المخالطة بين الناس يجب أن تكون فى حدود العمل الواجب الذى يراد منه كسب الرزق والعيش مع الموده والإحترام والإمتنان والخروج من هذا الحيز والنطاق إلى الحميمية والدوران فى فلك واحد هو أمر مرفوض يجلب دائماً المتاعب حيث أنهم يعملون بالحكمة القائلة "إذا إلتقى الناس بدأت المتاعب" هذا رأى بعض الفلاسفة والباحثين فى أغوار النفس البشرية أما عند عامة الناس فالأمر مختلف فهم يرون أن الإنخراط والعلاقات الحميمة تجلب المنافع المتبادلة والمصالح المشتركة وكثرة الإحتكاك والتعامل دائماً ما يولد النفع المتبادل فالفلاسفة والباحثين يرون فى هذا الأسلوب هو التحايل وقلة الحيلة والأساليب الملتوية وظهور مصالح طفيلية تلجأ إلى أساليب المنفعة والإستغلال المتبادل التى تحوم حوله الشبهات والطرق الغير مشروعة ويرونها أنها من أساليب الدهماء وذو العقول المحدودة التى تنعدم من الموهبة فى الحصول على المنفعة بالأسلوب الصحيح المشروع.

أما الرأى الآخر الأرجح الذى تستقم إليه النفوس وتهتدى، لا سيما فى أمور كهذه العزلة الإجتماعية أو الإنخراط فيه، يجب أن نطرح على الجانب الآخر كما طرحنا بعض أراء الفلاسفة وعلماء النفس والباحثين وألقينا الضوء عليها يبقى لنا رأى الأديان التى يجب إلا نغفلها لما لها من رؤية شاملة صائبة تصلح لكل العصور وكل الأجيال ما دامت الحياة قائمة و الناس يلتقون ويتحاورون ويختلطون بعضهم مع بعض.. الأديان ترى أن لا غنى للناس عن بعضهم لكى تنشأ مجتمعات صالحة لإعمار الأرض والخلافة فيها فلابد من الإلتقاء والإختلاط و التعامل بمنهج يسوده الحرص على المصلحة العامة بين الناس والمتبادلة دون تفريط فى القيم أيضاً ترى الأديان المصلحة الشخصية دون الإضرار وترى أن يسود الود والتراحم والمعاونة قدر المستطاع والألفة والمحبة والتقارب كى ينمو بينهم الصلة الحريصة على الخير والنماء هو قطعاً الرأى الأرجح إذا صلحت النفوس وحسنت النوايا... بإذن الله.

النوم والنعاس من الضروريات التى لا غنى عنها ولها من الفوائد التى لا تعد ولا تحصى النوم والنعاس هما حالة عضوية سيكولوجية متلازمتان ولا بد أن يتوفر العاملان معاً ليصبح النوم فعالاً وهادئاً ينعكس على النفس والجسد هما المستفيدان من هذه العملية يعطى الحيوية والنشاط والقدرة على مواصلة الجهد فى أى مجال ومكان والغدة الصنبورية فى المخ المسئولة عن تحفيز الإنسان على النوم فى الليل والمحافظة على درجة حرارة الجسم عن طريق إفراز مادة الميلاتين وهو الهورمون الذى يساعد على الإسترخاء والغط فى نوم عميق حسب كمية الإفرازات والنوم كما نعلم جميعاً هو أكسير الحياة والأكسير هى مادة هامة جداً موجودة فى الدم، بطبيعة الحال فإن النوم نطلبة جميعاً لتجديد النشاط وتجديد خلايا الجسم التى تتهالك مع مدة العمل الطويلة وممارسة الأستيقاظ لمدد أطول فعندما تتم عملية تجديد الخلايا فى الجسم عن طريق النوم تجد البدن فى حالة رشاقة وخفة وصحوة ومنا من يطلب النوم لهذا السبب لمواصلة العمل والإستمتاع بخفة الجسد وصحوته ومنا من يطلبة بغرض الإنقطاع عن الإجهاد بالتفكير الذى يرهق البدن فى أحيانا كثيرة وأن لا فائدة منه إلا العناء الطويل ومنا من يطلبه للنسيان ومنا من يطلبة لراحة البدن والإسترخاء والإستمتاع بالراحة والخلود إلى الفراش والتنعم به أيضاً ومنا من يطلبه بجدية لاخذ قسط من الراحة لمواصلة العمل الجاد المفيد والنافع أختلفت المسببات وهو مطلوب لراحة البدن والعقل وجميع أجزاء الجسم لمواصلة الحياة.

بعد العصور الوسطى فى أوروبا والحروب الطاحنة فيما بينهم التى أرهقتهم وثقلت على كاهلهم ونشرت الجهل والضغائن وسقـوط إمبـراطوريات عظيمة وصعقـت ووهنت عجزت عن التطور والإنجاز وإضافة الجديد إلى الحياة من علم وإبتكار وقوانين عادلة تحكم البشر، وبمرور الوقت وتعاقبه أخذ الناس يتطلعون إلى سلام يشمل الشعوب جميعاً يصاحبه العدل الإجتماعى لجميع الناس غنيهم وفقيرهم، فقد خطط لهذا كهان ومشرعون وصحابيون ثم ظهرت تدريجياً ثمار هذا العمل أو المشـروع، نمت فكرة أن الناس فى وسـعهم ومقـدورهم أن يعيدو جعل دنياهم مكان سلام وسرور لكل الناس وأن الحسد والحقد والصرامة عيوب متأصلة ولا بد الفكاك منها والتخلص من جذورها لكى تنهض الشعوب، وإدخال السكينة والرضى على قلوب الأمم المبلوة التى تريد أن تستنهض قواها وتقوم لها قائمة مرة أخرى بين الشعوب والأمم، قد نادى صناع الجمهورية الأمريكية شعار (خلق الناس جميعاً متساوين) وكان شعار رجال الثورة الفرنسية حرية، مساواة، إخاء، قد إعتقد بعض المفكرين فى القرن الثامن عشر أن الفهم الصائب والتعقل كفيلان أن يحفزوا الناس إلى الرخاء والتقدم، سوف يكون حكم العقل حكم السلام نضجت هذه الأفكار عند الأوروبيين فى تلك العصور والفترة ومن ذلك العقد نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر بدأ عصر الثورة الصناعية فى أوروبا وبدأ التقدم التكنولوجى المذهل الذى لم ينقطع حتى يومنا هذا، لكن هذه الأمم الأوروبية ما كادت أن تستريح من صراعات طويلة دامت بالقرون المديدة فيما بينهم حتى أصيبت بإنتكاسة كبرى كادت أن تسحل تلك الحضارة القديمة والحديثة، ونشوب الحرب العالمية الأولى والثانية التى أرجعتهم إلى دوامة الهبوط مرة أخرى والحلقة المفرغة من جديد ولولا تدخل القدر وعناية الله التى أعادت الأمور إلى سابقها ودارت عجلة التاريخ مرة أخرى إلى عهدنا الذى نحن فيه اليوم.

قال الفليسوف الإغريقى القديم أفلاطون أن الذين يريدون أن يطمسوا الصداقة يريدون أن يطفئوا نور الشمس وهكذا وصفت الصداقة لنبل مقصدها وعلو مكانتها وكونها أكسير للحياة لابد منه وكما قال أحد الحكماء (من لم يجد صديق فلابد أن يكون العيب منه).

الصداقة من تلاقى الأرواح وتطابق الفكر والميول والشعور الخفى بإلتقاء الروح عند دروب الود والألفة والإرتياح النفسى والصداقة وعاء يسكب فيه الإنسان كل خواطره وما يجول فى خلجات النفس من فرح وألم ورغبات وأمنيات فأنت تفضى أحيانا كثيرة للصديق أكثر ما تفضى إلى القريب، الصداقة من أجل معانيها هى الصدق بين إثنين متحابين، وليس من المنطق أن لن يجد الإنسان فى الدنيا من يرتاح إليه ويتلقا فى الفكر والميول والرغبات، ويندمجا مع بعضهم فى كثير من الأحيان يحتاج الإنسان إلى الرأى الآخر يستمع وينصت إليه لأنه ليس من الحكمة أن يعتقد الإنسان أن رأيه هو الوحيد الصواب فى الدنيا وأن رأى الآخرين خطأ، معناه انه هو الرجل الرشيد الوحيد فى العالم وهذا خطأ كبير يقع فيه الإنسان أن هل الله لم يخلق غيره ذو رأى راجح وفكر صائب مستحيل أن يكون هذا صحيح مستحيل وألف مستحيل من هذا المنطلق نحث على روابط الصداقة والمودة التى تضفى على الحياة البهجة والألفة مادمنا نؤمن بأن الإنسان لا يحيى وحده فى هذه الدنيا، لأن الفردية لها مدلولات كثيرة وتعبر عن السلبية الإجتماعية التى بدورها تنم عن الإنطوائية والإنعزال وتدخل فى أطر الأغراض النفسية غير السوية التى تؤدى إلى قلة الأداء فى الأدوار العلمية والسياسية والإجتماعية والثقافية وغيرها من المجالات العديدة التى تنهض بالإنسان إلى الرقى والتحضر وتجعله يواكب العصر، من العلاقات السوية وروابط الصداقة الحميمة التى تخلو من كل الشوائب والمنفعة والأغراض الدنيوية إنما تقوم الصداقة بين مجموعة تحابا فى الله وعمل الخير وجلب المنفعة للنفس وللآخرين من حولهم علاقة تبادلية وليست من طرف وأحد يشترك فيها الجميع حول الخير والسلام والجمال كما يرونه الفلاسفة والحكماء.

خضعت الشخصية العربية للبحث والتحليل والتدقيق من أبناءها وغير أبناءها من المنصفين تارة والجائزين تارة أخرى، ولنا أن نستعرض بعض منها لغاية وهدف واحد هو درء إدعالها ووصفهم لشخصية ذات عراقة وحضارة لا ينكرها إلا جاهل أو جاحد، أثرت وتأثرت الغرور والإستهانة بـالصعاب هى صفات ألصقت بالشـخصية العربية من بـعض الباحثين والمهتمين بالشخصية العربية، الغرور الذى يرونه يلازم ويرافق الشـخصية العربـية هى الإفراط المفرط والثقة الزائدة عن الحد فى النفس وبـالإمكانيات الشـخصية دون التسلح بـمفردات العلم أو المعرفة أو حتى أى قـوة داخله تعينة، الإعتقـاد دائماً بـأن لديه قـدرات هائلة تفوق كل القـدرات التى ستسلم له وتفسح الطريق كى يعبر دائما، والغرور فى إحدى تعريفاته الدقيقـة هو إعتقـاد الفرد أو الشـخص أن لدية ملكات وقـدرات خارقـة وحيل ماكرة تفوق كا ما عند الآخرين وأنه قـادر على الإجهاز الإنقـضاضى والإنتصار دائما فى أى وقـت وظرف، وفجاة يخوض غمار وتجربـة المواجهة والصراع فى أى مجال، يصرح بقـدرته على الإنتصار بسـهولة دون إعداد وتأهب وتدريب، فجاة تجده بـعد ذلك صرح شامخ منهار وكومه هشة تلتهمها النيران أنقاض فى لحظة إنهيار لأنه بـالغ فى قـدرته وغلا فى إمكانياته وأسـرف بشـده فى محايـاة نفسـه وأعطاه أكثر من حقـه فهذه هى سـمة ذوى العاهات الذهنية وصاحبى الفكر الضحل، الذى نبغض منطقـهم لأنهم لا يعلمون حـجم أنفسـهم، فالنفس فى بـعض الأحـيان يجب معاقبتها وعدم الإفراط فى رغبـاتها محاسبتها ولومها والرجوع عن أهوائها فلم تستقم أحوال البشر إلا بإتباع هذا السلوك مع النفس لأن العاقل الرشيد من الناس هو من كبح جماح النفس، الإستهانة بالصعاب هى أيضاً من الصفات الزميمة التى ألصقـت بالشـخصية العربـية ونعتقـد جميعاً أنها من الجهل المركب والمستحكم يصعب التجرد منه بسهولة إذ يعتقد احد مثلاً بأنه سيلقى بنفسه من قمم الجبال الشاهقة ويسقط على الأرض ولم يصبـه شئ إلا الم فى إحدى أصابـعة أو أنه قـادر على خوض العراك مع أكثر من خمسـة أشخاص فمن أبجديات النزاعات والحروب عدم الإستهانة بـالخصم وأحترام عقـليتة وتفكيره حتى لا تفاجأ بأنه أفضل منك وأقوى منك.

الإنسان صاحب الحضارة العريقة والحديثة المبهرة على وجه الأرض والتى قد صنعها بفكره وعرقه ودمه توصل من خلالها إلى ما يفوق العقل فى تصوره من علوم حديثة فقد غرس الله فى الإنسان حب المعرفة وتيمه بها حتى الثمالة حتى النخاع... المعرفة هى لذة الدنيا فى نظره ونعمه شهية نأخذ منها بنهم ولا نرتوى فها هى المعرفة كالماء الرقراق على شفاة الظمآن هذه هى علاقة المعرفة والعلم بالإنسان وطيدة حميمة تخرجه من متاعب الحياة وآلامها وتنعش بدنه وحسه وتبعث الهمة والنشاط فى أوصاله من هذا المنطلق أحب الإنسان العلم والمعرفة لرغبته الجامحه وشغفه بكل ما هو جديد وتوصل من خلاله دون أن يدرى إلى الإكتشافات الهائلة تلو الإكتشافات إلى أن تحقق ما نحن فيه الآن من تقدم مذهل يخلب الألباب فهو لا يزال يتوق إلى الأفضل والأرقى وأن يوفر لنفسة سبل الراحة والرخاء المرجوة التى يسعى إليها فهو قد إجتهد وتفانى فى جهده وبذل كل ما يملك ليحقق الحضارة الإنسانية على وجه الأرض كى يفخر بها ويرتمى فى أحضان إنجازاته ويتمرغ فى نعيم صنعة ويسعد ويبتهج بتأججهاوسبلها التى أتاحت له الكثير من الإستمتاع بتكنولوجيا العصر الحديث من معلوماتية وإتصال ونقل كل أحداث الدنيا كلها بين يديه بسهولة ويسر ومن رخاء لا مثيل له فى الملبس والمسكن والمأكل والمأوى، كثير من السبل التكنولوجية فهو يتحرك فى مسكنه كالإنسان الآلى بالضغط على الأزرار اينهل سبل الراحة من إضاءة وكل ما نعرفه جميعاً من بارد وساخن وحفظ أطعمة قطعها وفرمها وتسخينها، ووسائل إنتقال عديدة للناس والأشياء وغيرها، ولكن ما أفقنا عليه من الحلم الجميل الهادر كالأمواج المتلاطمة أفقنا من سباتنا العميق على تقرير لفيلم وثائقى علمى يعرض فى جميع إنحاء العالم هذا الفيلم إسمه الحقيقى المفزعه، فهو حتما مفزع لما يحويه من دراسات وتقارير مؤلمة للخط البيانى المتصاعد فى حياة البشر، ومستقبل الأرض خلال خمسون عام قادمة مستقبل مفزع ومصير غامض تكتنف حياة الإنسان فى هذه الحقبة القادمة لما سيحدث فيه تغيرات مناخية مفزعة فالأعاصير والتسونامى ستزداد... الفيضانات ستكتسح المزيد من الدول ستغرق المياة دول أوروبية مثل هولندا وبعض ولايات أمريكا وبعض مدن صينية كبيرة وستعانى بعض الدول من فيضانات المياة، وفى نفس الوقت ستعانى دول أخرى من الجفاف والتصحر وندرة المياة، وستبدأ دول أوروبا بعد عشر سنوات فقط فى دخول العصر الجليدى التى كانت تعيش فيه القارة الأوروبية من إحدى عشر ألف سنه، كل هذا نتيجة ظاهرة الإحتباس الحرارى الظاهرة

العلمية المعروفة اليوم وهى من أهم مؤثراتها زيادة نسبة ثانى أكسيد الكربون فى الجو هو الأمر الذى يؤثر على كوكب الشمس فى أداء وظائفه كامله من حيث الإنتشار ونسبة الحرارة المنبعثة منه، هذه الغازات المؤثرة على أداء كوكب الشمس وزيادة نسبة ثانى أكسيد الكربون هى سببها ملايين السيارات والمصانع والوقود الذى يحترق ويحرق معه مستقبل الإنسان ويدفعه إلى نهاية التاريخ الإنسانى ويسدل الستار على أكبر حضارة صنعها كائن حى وهو الإنسان ويضع النهاية المفزعة حقا، هل أخطأ الإنسان الذى رفض الحياة البدائية واراد أن يطورها أم أنه تجاوز الحدود فى المعرفة لذلك ينال عقابة المحتوم لا نعرف لأن الله هو الأعلم.

كان هناك رأى للفليسوف الإغريقى القديم سقراط حينما كان يجوب فى الأسواق ويتفقد وينظر ما يعرض فى هذه الأسواق من متاع وطعام وملبس وغير ذلك من الأشياء الكثيرة التى تعرض فى الأسواق، كان يقول (أنا لست فى حاجة إلى كل هذا) هذا الرأى الذى أبداه الفيلسوف يعبر عن القناعة التى كان يتمتع بها الفلاسفة ويعبر أيضاً عن القناعة لدى أهل الفكر والتأمل والمهتمين بالنفس البشرية، وأصحاب الرأى الذين يريدو أن يرتقوا بالإنسان إلى الفضيلة والنبل الأخلاقى، فنحن لا ندين الفلاسفة أو نرتاب منهم فهم ولدوا ونشأوا قبل الميلاد قبل الرسالات والديانات السماوية فكيف ندينهم ونتهمهم بأى شئ وهم لم يعايشوا نبى أو مرسل من الله له نهج وكتاب ودستور إلهى جاء ليبلغة إنما فقط تعتبرهم أشخاص مجتهدين حاولوا ان يضعوا أطر ونظريات تحاول أن تصلح من شأن الإنسان وترقى به إلى الفضيلة والنبل والسمو عن التدنى الذى لا يليق بالإنسان ومكانته الرفيعه السامية وأخلاقه الرفيعة وأرادو أعراف تنظم الحياه كالقوانين التى تضع الصواب والعقاب، الفلاسفة الذين كانوا يتمتعون بهذ الروح العالية نثنى على أعمالهم، الفليسوف افلاطون كان له نهج ورغبة فى إقامة المدينة الفاضلة وتوسيع نطاقها لتشمل العالم كله وبعض من فلاسفة دعا إلى الخير والحب والجمال وأيضاً العدالة، هم الفلاسفة اليونان القدماء ولم يتدخلوا فى أمور غيبية أو كونيه تختص بالوجود والخلق وبدايته ونهايته والأمور التى ليست فى إستطاعتهم البت فيها إنما كانوا واقعيون يهتمون بالإنسان فى شخصه وسلوكة وعاداته ورغباته ومحاولة تعديله إلى الإفضل وغرس قيم نافعة للمجتمع عامة وصالحة تعود بالنفع على الجميع حيث كانت قضيتهم الأولى فهى تعميم النفع على أكبر قدر ممكن من الناس، كانت قضيتهم معقولة وتستحق البحث والثناء.

رأى الباحثين الغربيين والمستشرقين فى دراسة للشخصية العربية وأيديولوجيتها وأضافوا إليها أختراع حديد ومسمى غريب يجذب الإنتباة وليس الإقناع، بل نعتبره قول إستشراق فى وصف الشخصية العربية بالشخصية الفارضة والتحجرية هى من النعوت السيكولوجية للأفراد والجماعات حديثة العهد بالرقى والتقدم التى تهفو وتتوق إلى الرقى أجمع هؤلاء الباحثين أن الشخصية التحجرية الفارضة تتمركز وتتقوقع فى المجتمعات النائية النامية فى دول العالم الثالث خاصة ولا سيما فى دول الشرق اوسطية وآسيا الصغرى ملخص التحليل النفسى السيكولوجى لهذه الشخصية يتكون من الآتى سرده:

إن العقلية التحجرية هى العقلية التى تأبى الحلول الوسط وترفضها ولا تتنازل عن أى شئ حتى لو على حين من الوقت وأيضا تأبى إبداء أى مرونة فى اى موضوع فهى حازمة ترفض دائماً أنصاف الحلول ولو كانت مؤقتة، وتوارب أبواب المناقشة فى الوجوه وتفسح هذا الباب لآخرين كى ينالوا ما يريدون كما هو حادث فى الصراع العربى الإسرائيلى وإسرائيل دائماً ما تفتح باب الحوار مع الغرب على مر الزمان والتاريخ وتستعمل أساليب الإقناع لحين التمكن، فى حين أن العرب منذ الأزل متشبثون بآرائهم مما يقلل من تعاطف الأطراف الأخرى معهم وإنهم رافضون منطق الحديث العقلانى والذى يفرضه الأمر الواقع أحياناً كثيرة، فإسرائيل فى بداية صراعها مع العرب قبلت قرار التقسيم فى بادئ الأمر و اليوم ترفض حتى التنويه بقرار التقسيم بعد أن قويت شوكتها ونفوذها فى العالم إذن هى قبلت بقرار التقسيم بشكل مؤقت إلى حين من الدهر ولكن العرب كما يصفهم هؤلاء الباحثين يرفضون الحلول المؤقتة وأنصاف الحلول رفضاً باتاً قطعياً ولذلك يندمون على الفرص الضائعة التى كانت فى حوزتهم و بين أيديهم، أما الشخصية الفارضة فكل مقارنتهم ما تكون بين العرب وإسرائيل نظراً للصراع الدائر بينهم فالشخصية الفارضة هى التى تفرض ثقافتها وتقاليدها وديانتها وتعاليمها على الآخرين وإستخدام العنف للفرض فكر قد لا يتفق مع الآخرين فهم كشعوب أوروبية... أصحاب فكر وحضارة أضاءت الطريق أمام البشر يرفضون التسلط والاجبار والإرغام على أى شئ حتى ولوكان هذا النهج صحيحاً فالعقلية المستنيرة المتفتحة لا تجبر إنسان على شئ مهما علا وسما هذا الشئ فى حين أن اليهود لا يدعون إلى دينهم ولا يرغبون أحد فى إعتناق عقيدتهم بل يعرقلون ويضعون المتاريس فى وجه من يحاول الدخول فى دينهم هم عاشوا كثيراً فى بلاد العرب وسط المجتمعات العربية ردحاً طويلا من الزمن لا يشعر أحد كيف يمارسون طقوس دينهم ولا يرتدون أى ملابس تعبر عن عقيدتهم فزيهم مثل زى أى بلد يعيشون فيه فلا

تشـعر أى دين يعتنقـه هؤلاء الأشـخاص... هذه الآراء التى سـردناها تعبـر عن رأى اصحابها فقط أردنا أن نستعرضها فقط لغاية هى أن علم الإجتماع يدرس المجتمع دراسة علمية محايدة تجعل المجتمع ينتقل من حال إلى حـال آخر على المدى القصير أو الطويل وحل المشكلات والوقـاية منـها دون نصرة أحـد على أحـد... هذا هو هدفنا الأول والأخير علاج العيوب والنعوت.

دراسة عميقة أجرتها إحدى مراكز البحوث العلمية والإنسانية المهتمة بالشباب وتوجهاته لإيمانها أن الشباب هم الهيكل القوى للحضارة الإنسانية وهم الركيزة الإساسية التى ستقوم بالحفاظ والحماية لإنجازات الإنسان عموما، أيضاً هم زهور الغد التى ستواصل المسيرة الإنسانية وتقدمها نحو الأفضل، الدراسة راحت تبحث فى إهتمامات الشباب وميولهم وفيما يمضون وقتهم، عكفوا على مراكز الإحصاء ليحصروا أهتماماتهم فوجدوا أن علاقة الشباب بالانترنت تحتاج الى مراجعه وتحتاج أيضا الى الترشيد فى ظل النسب المخيفة الداعية الى القلق والإنتباة لها هذه النسب التى تم حصرها مبدئياً تشير إلى أن ٦٠% من الشباب من مستخدمى الكمبيوتر ودائمى الدخول على شبكة الإنترنت من خلال أماكن خاصة لذلك من أجل ممارسة الدردشة والتعارف، ٢٠ % فى مشاهدة المواقع الرياضية، ١٢% فى مشاهدة المواقع الطبية والتجارية ٨% من أجل مشاهدة المواقع السياسية وتعتبر الموقعين السابقين إلى حد ما هو هادف وذو قيمة لكن هناك إنذار مبكر يدق ناقوس الخطر خاصة أن أعمارهم تتراوح فيما هو أدنى من ٣٠ عاماً، وقد إستدعى هذا التوجه العديد من الباحثين والتحذير من بغية تكاثر هذه الظاهرة وعودتها بالسلبية على المجتمع وخاصة الشباب، شيئا فشيئا يدخلون هؤلاء الشباب دائرة أدمان الكمبيوتر والإنترنت وينعكس عليهم فيما بعد بالكثير من المشاكل والمتاعب النفسية مثل الإكتئاب والإنطواء والكسل، والأصعب والأخطر من ذلك كلة هو العزوف عن التفاعل مع المجتمع وهو أخطر الآفات التى من الممكن أن تصيب الفرد لأنه علميا يقلل من الإنتاج والمشاركة الفعالة فى الحياة العامة والإنسحاب من الحياة الإجتماعية والمشاركة الفعالة إلى بديل أخر هو الإتصال بالإنترنت هو أيضاً قاتل للوقت الذى هو ثروة الإنسان الحقيقية إذا أحسن أستغلاله فى ما هو نافع للفرد وللمجتمع، والحديث فى هذا المجال طويل فى حسن التوجه عاما وليس فى مجال إستخدام شبكة الإنترنت فقط وكما هو فى المثل الشعبى الصادق الذى يقول كل شئ يذيد عن حدة ينقلب الى ضدة فهذا المثل الصالح فى كل الأزمان والأوقات وبلغ الحكمة والإتقان الى حد كبير وعلى جميع المجالات والاصعدة، فالترشيد فى الإستخدام هذه الخدمة واجبة وحتمية حتى لا ينعكس بالضرر على المجتمع والأفراد وللباحثين الحق فى التنوية والتحذير من الأضرار التى تحيط بنا وبشعوبنا من أجل رفعة الأوطان وتقدمة والخطى على الطريق الصحيح الخالى من الأضرار رأفة بنا وبشبابنا الذين هم عماد الآمة وركيزتها نحو التقدم والرخاء والخير.

رأسمالية ذات وجه إنسانى هذه العبارة أطلقها رجل يمعن النظر فى الإقتصاد العالمى معنى هذه الجملة عميقة فى مكنونها وتحتاج إلى تفسير دقيق وتحليل عميق فصاحب هذه النظرية يرى أن الراسمالية العالمية السائدة اليوم هى راسمالية صماء عمياء لا تنظر إلى الفقراء بنظرة الرأفة والرحمة ولا تعبأ بهم ولا بأحوالهم، لان من أسس الرأسمالية القائمة حاليا على إعطاء الأولوية كلها لرأس المال وأصحابه والإهتمام بمصالحهم فقط لأن الرأسمالية فى عمقها ترفض مد العون وترفض العدالة الإجتماعية المتمثلة فى تحسين أحوال الفقراء، الوجه الإنسانى الذى عبر عنه هذا الرجل تعنى أن الوجه الإنسانى يتسم بالعطف والرأفة والرحمة وهو ما يجب أن تتحلى به الراسمالية الحالية لكى تصبح منهجا صحيحاً يعيش ليه الناس فى سلم وأمان من مخاطر الإجتياح التى تلازمه فى هذه الفترة الحالية، فى أعقاب الحرب العالمية الثانية وسقوط دول المحور فى براثن الهزيمة وسقوط العاصمة الألمانية برلين فى أيدى قوات الحلفاء وسيطرة هذه الدول على المانيا وتقسيمها إلى شرقية وغربية، كان السياسى الألمانى البارز عقب الحروب العالمية الثانية هو أوسكار لافونتين الذى قدم إستقالته من منصبة الرئاسى للحزب الإشتراكى الديمقراطى مفاجأة للجميع وأكتفى بالقول تفسير للقرار المفاجئ (حان الوقت لأن أراعى شئون أسرتى) لم يصدم أحدهم هذا التفسير وهذا الهروب، لذا صرح العالمون ببواطن الأمور فى الشئون الألمانية أن اوسكار زعيم الحرب الإشتراكى ووزير المالية سابقاً غاضبا من مؤشرات توحى بانصياع ألمانيا للإقتصاد والسوق الحر على الطريقة الامريكية، كان يرى أن هذا التوجة يهدم تراث القيم الإجتماعية الراسخة التى تمسكت به ألمانيا عقب دمار الحرب العالمية الثانية وكانت هذه الإستقالة هى أنزار مبكر للراسمالية الأمريكية الجامحة الجافة الخالية من الوجه الإنسانى التى ترعى المصالح الخاصة فقط ولا تنظر إلى المجتمع ككل، لهذا خرج بمؤلف جديد فى كتاب يقول فيه أن القلب يدق يسار أى القلب موجود ناحية اليسار واليسار هو النظام الإشتراكى الذى يرعى ويهتم بمصالح الناس ككل.

وضعت القوانين الرأسمالية لصالح الدول الكبرى على حساب الدول النامية والراسمالية الموحشة المفرطة فى ماديته هذه العبارة أو الجملة هى رأى من أحدى الآراء التى ترى أن سبب الإنهيار والسقوط الإقتصادى الذى يعيشة العالم اليوم بأسرة وأن سوء إستخدام الرأسمالية وقواعده التى أرساها العالم الكبير آدم سميث فى معاده الإصلاح الإجتماعى وفى غياب مراعاة المصلحة العامة التى هى فوق كل شئ وفوق كل إعتبار هى من الأسباب التى أدت إلى الإنهيار الذى تعيشة الإنسانية الآن والتى سيترتب عليها كساد عالمى وغلاء عالمى فى الأسعار وأشياء كثيرة من هذا القبيل الأزمات الإقتصادية المتلاحقة لان الرأسمالية السائدة اليوم فى الولايات المتحدة الأمريكية وتقلده دول العالم تحاول إبعاد دور الدولة من مباشرة أعمالهم وان تمارس دور الرقابة والتفتيش او أى نوع من التدخل فيما يفعلون، لأن الراسمالية التى تمارس فى أنحاء العالم اليوم خاصة دول العالم الثالث تهتم بمصلحة الفرد ولا تهتم بمصلحة الجماعة وترى أن الفرد هو الأحق فى الكسب والثراء مطبقين نظرية العالم الإقتصادى الكبير هربرت سبنسر صاحب العبارة الخالدة التى تقول أن الطبيعة قد انتخبت وأختارت الاثرياء لتفوقهم الطبيعى على الفقراء وان الدولة لا ينبغى أن تتدخل لتصحيح التفاوت الإجتماعى وتخفيف الشقاء ورفعه عن كاهل الفقراء أو محاولة الدولة القيام بدور لحماية الضعفاء وشظف الحياة فالرأسمالية ترى فى هذا الدور الذى تقوم به الدولة نيل من حقوقهم المشروعة من نظرية سبنر التى تعطى لهم الحق فى الثراء دون مراعاة للغير هى إحدى النظريات الإقتصادية المطبقة عالمياً فى المرحلة الحالية وإحدى أسباب سقوط الراسمالية العالمية كما ترى الراسمالية ذو النظرة الضيقة أن الإحسان للفقراء يضر ولا ينفع أن رجل الإقتصاد لا يعنى بالعدالة والرحمة وأن الحديث عن الظلم الإجتماعى وتفاوت الطبقات أمر دخيل على الإقتصاد وليس من أبجدياته وليس له وجود فى القاموس الإقتصادى من هذا وذاك من الآراء فى الراسمالية يمكن أن نستخلص اشياء كثيرة هى أن الراسمالية الصحيحة دخلت عليه أهواء البشر ونزواتهم فافسدته هى من الأسباب أدت إلى إنهياره منه الإحتكار والسوق السوداء والرغبة فى الثراء وانطبقت عليها الآيه الكريمة التى تقول (وتحبون المال حبا جما) صدق الله العظيم وما أفسدته الرغبات ونزوات الإنسان خاصة أن الأديان تحث على الراسمالية مع وجود ضوابط وروابط ومعايير تحكمها وتنظمها وتبعد عنها الأهواء الشخصية والأطماع التى تؤدى إلى إنهيار أى شئ فى الدنيا وليس الإقتصاد فقط.

علم النفس المحفوف دائماً بالغرائب والعجائب يخرج علينا من حين إلى آخر بنظريات وآراء تستحق التأمل والإهتمام والإستمتاع به أحيانا كثيرة لأنه جهة مهتمة بالمزاج البشرى وما يدور فى خلجاته أثبتت دراسة علمية بحثه توصل إليه بعض الباحثين أن هناك شئ موجود فى الحياة أسمه العقم الإبتكارى والإبداعى وفى تعريف لهذا المسمى الدقيق هو فقدان ملكة الإبتكار والإبداع والتوصل إلى نتائج علمية عن طريق البحث والتجارب، ونسب هذا الوصف إلى إنسان المجتمع الإفريقى إنسان المجتمع الافرواسيوى وهو وغيره من مجتمعات الشرق، وأكد البحث وجود خلايا وجين وراثى مسئول عن تنمية وتغذية ملكة الإبتكار والإبداع عند الإنسان وأن هذا الجين ينشط ويصاب بالخمول حسب السلوك الشخصى للأفراد والجماعات، فإذا كان الإنسان يتمتع بسلوك حضارى راقى ينشر الإنسان من خلالة العدل والسلام فإن جين وملكة الإبتكار ينشط ويستمر، أما السلوك الشخصى للإنسان إذا كان عكس ذلك يميل للهمجية والعدوانية والعنف والإضرار بالغير فان هذا الإنسان يصاب بالخمول فى جين الإبتكار والإبداع، من الأسباب التى جاءت فى البحث أيضاً لخمول ملكة الإبتكار والإبداع هو الإرتكان والرغبة الجامحة فى الاستمتاع فقط دون السعى إلى التفكير والبحث وبذل الجهد، وعدم الشغف بالمعرفة والبحث ومحاولة إضافة الجديد فى هذه الحياة .

آراء كثيرة ومبهرة وصادمة لنا جميعاً ولكنها تستحق البحث والتحليل وحالة التخلص منها.

هناك فى الغرب جماعات كثيرة يبحثون ويقارنون بين الأديان وتعاليمها وصحة كل دين فى منهجة يضعون إحتمال لتفضيل دين على دين آخر ويضعون إحتمال أن يعتنقوا أحد الأديان، فلذلك هناك جماعة فى الولايات المتحدة الأمريكية ترى أن الخلاص ونجاة الإنسان من الحساب والعقاب ممكن أن يكون عبر معتقدات أخرى غير المسيحية السائدة بينهم فهم يرون فى هذه المعتقدات السمو الروحى فى الأخلاق كما هو الحال فى تعاليم الإسلام منهجه وسلوكه كما أرساه نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم، فالغرب لم يترك كبيرة أو صغيرة إلا وبحث وتامل فيها وأمعن التفكير فى جوانبها هذا الفكر الذى يعتنقه جماعات كثيرة فى الغرب والولايات المتحدة الأمريكية إن دل يدل عندهم أن الأديان هادفة عندهم إلى الدعوة إلى الخالق وأن إختلف المرسلين والمبعوثين فإن الهدف واحد وهو معرفة الله والإتجاة إليه بالصلوات والطاعات والقربات والإيمان بوحدانيتة وقدرته من بين المعتنقين لهذا الفكر المرشح للرئاسة الأمريكية أوباما والذى تحدث فى هذا الكلام فى إحدى جولاته الإنتخابية وأخذ عليه خصومة وعلقوا على هذا الكلام بأنه لا يدين بالولاء والإخلاص للمسيحية لأنه يرى أن الإنسان من الممكن أن ينجو من الحساب والعقاب عبر المعتقدات الأخرى، هكذا حال الغرب أوروبا وأمريكا كل يوم يأتون بأفكار وآراء كثيرة ما أكثرها الجماعات التى تخرج علينا بفكر جديد وفلسفة جديدة فى الأديان وغيرها وهناك جماعات مسيحية متهودة إلى جانب مسيحية تؤمن بأفكار يهودية وتسيرها سند إلى ديانتها وتحاول تطبيق نبوءات الديانه اليهودية هذا الفكر يعتنقة الرئيس الأمريكى الحالى بوش الإبن ويحاول تطبيقة فى سياستة الداخلية والخارجية، أن كل رؤساء أمريكا لابد أن يكون لهم توجيه وتصور دينى يحاول فرضة على العالم بشتى الطرق إن شاْ، والحث والخروج على الناس كل يوم بفكر وشيوع هذه الإفكار على المستوى العالمى تجعل العقول فى حالة تشوش دائم من جراء كثرة هذه الأفكار خاصة فى أمور دقيقة مثل الأديان وتضع الناس فى حيرة من أمرها، فهم يحاولون تبسيط الأمور وترغيب الناس فى الإيمان بأى ديانة، تؤكد أن الهدف واحد وأن إختلفت الأساليب والطرق ، دراستهم للأديان ومعاشرة أهلها أخرجتهم بتلك النظرية إلى حد ما فهذه النظرية تبعد التعصب الأعمى لليهودية والمسيحية وتعرفهم أن هناك أديان أخرى ممكن للإنسان من خلالها أن ينال رضا الله وأن يدخل الجنة وأن يسير إلى الهدى والطريق المستقيم، هذا فى حد ذاتة إستنتاج طيب مبشر الى ان الله سبحانة وتعالى لم يقتصر امم على أمم أخرى بل بعث إليهم من يرشدهم ويعلمهم ويدعوا فيهم ويبلغهم ويضع عنهم أصرهم والإغلال التى كانت عليهم خلاصة القول أن معرفة الله الخالق ليست حكر على أحد ولا تفضيل لفئه على أخرى والله سبحانة وتعالى يفصل بين الناس يوم العرض عليه فيما كانوا فيه يختلفون وهو سبحانة وتعالى القائل فى محكم آياتة (أن الله يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون)

ولنا حديث آخر فى هذا المضمار فى هذه الإعتقادات الكثيرة التى تخرج علينا من حين إلى أخر إن شاء الله والله الموفق وهو خير الفاتحين.

الفصل الرابع

من أعماق المعرفة

تحب نفسك أكثر هذه المقولة والنظرية نتاج أبحاث فى أعماق وأغوار النفس البشرية وترى هذه الأبحاث ان الترشيد والتهذيب فى هذا الإحساس ممارسة فى الحياة يحدث تغيرات للأفضل فى السلوك الإنسانى مما يعمم ممارسة حياة أبسط وأسهل خالية من التعقيدات هذا هو نتاج أبحاث أجريت وخرجت للنور لغرض العمل بـه فى الحياة العامة والخاصة للأفراد والجماعات، كل يوم تخرج لنا نظرية مبـهرة صادمة ما تكاد نطلع عليها ونجدها صحيحة وموجودة ومستقرة فى حياة البشر والناس، ومن واجبهم أن يعرضوه ويطرحوه على الناس ربما يكون لها تأثير فعال فى السلوك الإنسانى وهم يرون أيضاً إذا تغير الإنســان إلى الأفضل عم الســلام والرخاء ويرون أيضا أن الدوافع وراء هذه المقولة والنظرية(تحـب نفسك أكثر) التى تجلب من وراءه النرجسية وأنانية وحب وعبادة الذات الدوافع وهى الرغبـة الكامنة داخل بـعض الناس فى تخليد الذات وبقــاءه فى الذاكرة أطول وقـت ممكن خالد الذكر والتردد كما فعل الفراعنة لتخليد ذكراهم بإنشاء الأهرامات والمقابر العظيمة لتخليد حياة الأسر الحاكمـة وغيرها، أما شعار تحب نفسك أكثر وترشيده وتهذيبه يقصد بـها أيضاً وفى إعتقـادهم أن الترفع فى حد ذاته عن الأنـانية وحب النفس أكثر هو من السمو الأخلاقى الرفيع وإحترام للنفس حين مواجهة بالإتـهامات.

لا أجد تفسير علمى أو منطقى أو إجتماعى أو حتى وراثى إلى ما لا نهاية من التحليل للشخصية البشرية مثل ما هو فى تركيبة الشخصية الإفريقية العربية، التركيبة المحيره التى تضر بصاحبها وأيضاً تضر العالم المحيط به، خذ عندك مثالا حياً للشخصية ذهب أحد المفكرين العرب إلى الولايات المتحدة الأمريكية و سرد هذه القصة فى إحدى مؤلفاته وهى تتلخص فى الآتى : -

أثناء جولة له فى العاصمة واشنطن لاحظ أن سيارات الكاديلاك الفارهة الأنيقة التى تجوب شوارع العاصمة يقودها ويمتلكها السود فى أمريكا... لما أستفسر عن هذا الأمر هل الثراء بلغ هذه الدرجة عند السود الأمريكان أم ماذا الذى حدث، ولكنه بعد التقصى فى الأمر والتحرى أخبروه بـأن الأمريكان البيض رأوا أن هذه السيارة الكاديلاك ليست عملية وغير قادرة على تحمل المشاق يعنى هى سيارة مظهرية وثانياً أنهم قد زهدوا هذا النوع من السيارات للأقبال الشديد وإقتناء السود الأفارقة وإقدامهم عليها بهذه الصورة التى تدعو إلى النفور، هنا لنا أن نتوقف قليلاً أما هذه القضية فهذه السيارة الفارهة المظهرية يقبل عليها بكثرة السـود من أصل إفريقـى لا يهمة إن كانت السيارة عملية أو غير عملية المهم هنا عنده هو شكل السـيارة وأناقـتها وجمالها ومظهرها هذا دليل أيضاً على أنه إنســان يغالى فى المظهر إلى درجة أنه لا يهمة جودة الســيارة ومتانتها نفس الكلام والفكر موجود وينطبق على الشخصية العربية التى تعتقد أنهم تورثوا هذه الصفات من بعضهم البعض نتيجة إختلاط دمائهم وجذورهم التى إمتزجت ببعض فى التزاوج هناك أمر أخر ملفت للنظر والإنتبـاه يستحـق التأمل فيه ... وأنصحك أيضاً أن تجوب شوارع القـاهرة وتتجول فى شوارعها سيراً على الأقدام سترى أن الشباب ذوى البشرة السمراء من أفارقة وعرب ونوبيين وهم أشد الناس أناقة فى ملبسهم فى شـوارع القـاهرة يرتدون أفخر الثياب وأشدها أناقة وأرفعها ذوقاً فى نوع القماش ونوع التفصيل رغم أنهم من متوسطى الحال محدودى الدخل.. شئ مبهر للأناقـة عند ذوى البشـرة السـمراء أنا شخصياً وإن ملكت مالا كثيراً فلم أتوصل لهذا الذوق الرفيع فى الملبس لمواكبة الموضة الحديثة التى هم يجيدونها ويحذقـونها، هذا ثانى دليل على أن الشـخصية الافريقية والعربية تضع المظهرية فى أعلى مرتبة فوق كل شئ فى هذه الدنيا ناهيك عن أشياء أخرى تتمتع بها هذه الشخصية الراغبة الجامحة فى أن تكون دائماً محل الإهتمام ودائرة الحوار ومسلط عليها الضوء دائماً من كل جانب فهو يكره أن يكون فى طى النســيان أو تسحــب من تحـــته الأضواء أو يفقـــد الإهتمام بــــه لماذا هذه الصفات، فهو كى ينال وضعه تحــــت المجهر "الميكروســــكوب" يرتكب أخطاء فادحة كثيرة ينال من وراءها عقاب شديد لأنه أخطأ فى التقدير وتعجل فى الأمور

والنجاح فينال ما لا يحمد عقباه، هذه الكاريزما معقدة جداً يعجز فى فهمها الطب النفسى وعلم النفس وأيضاً علم الإجتماع وكل الباحثين المهتمين بالنفس البشرية أغوارها... أقروا أنه عيب خلقى لا دور للإنسان فيه ولا علاج منه، هى ليست شخصيةمعممه أو أغلبية فى عالمنا الإفريقى والعربى، قلة ليست قليلة نعتت ووصمت بهذة الصفات التى دائماً ما يفشل أصحابها فشلاً زريعاً وتضر الأخرين من حوله ضرراً بالغاً.. الحياة الهادئة الخالية من الصخب والشهرة ليست دليل على الفشل كما يعتقدون المهم أن يكون ذو مبادئ إنسانية رفيعة.

ما الشعوب التى تقدر الحرية وتعرف قيمة مكانتها بالمعنى الصحيح وتمارسها بقدسية و إحترام، فعندما دخل الإسكندر الأكبر مصر منتصراً أخذه من يدية المصريون وعرضوا عليه أن ينصبوه إلهاً وفرعوناً على مصر ليحكم بلادهم ويقود مسيرتهم إلى الأمام فكان الإسكندر الأكبر كما يعرف القاصى والدانى يحمل روح الحكمة والفلسفة التى تعلمها من أستاذه وأستاذ الفلسفة الكبير أرسطو قال لهم مقولة لا تخلو من روح الفلسفة والحكمة، ماذا فعل اليونانيون بحريتهم التى يفخرون ويتشدقون بها، لم يعلو عن النزاع والخلاف والإنقسام والإقتتال فيما بينهم حتى أبادت مدنهم بعضها بعضاً، ها هم المصريون دامت دولتهم آلاف السنين مستقرة بسطوة الآرباب الفراعنة والكهنة الباسطين يديهم وتفردهم بالحكم بفضل الطغيان، هنا نتسائل عن رأى الإسكندر المقدونى هل صحيح أن ما يوحد رايتنا وكلمتنا هو قوة الطغيان وأننا فى عصور الطغيان كنا أحسن حالا من حكام ومحكومين وأن التنمية والعلم فى عهد الطغيان كان مزدهر والرخاء يشمل الجميع، هل سبب ما نعانية اليوم من أزمات وإضطرابات هو توقف جرعات الطغيان التى إعتدنا على تعاطيها هذا مجرد سؤال وإحتمال فقط، وأن شعوباً تسكن الأرض المعمورة لا يجدى معها إلا الطغيان لأن بها سفهاء ودهماء يثرثرون يعتقدون أنهم الحكماء، نحن نتفق مع بعض اراءك أيها الإسكندر أننا كمصريين نبغنا وتقدمنا وبنينا أول حضارة عرفها الإنسان فى عهد الفراعنة والكهان والطغيان وعرفنا الطب والتحنيط والهندسة والفلك وبهرنا العالم فى عصر الطغيان ومن الممكن فى عهد الحرية الصحيحة أن نصنع ما هو أكبر وأكثر من عهد الطغيان، من رخاء وتقدم ورفاهية إن شاءنا ذلك مع الحرية.

سيكولوجية الشخصية المصرية لا يوجد مثيل لها على وجه الأرض فإن اتجهنا إلى علم المورثات والوراثة وإختلاط الأجناس ببعضها عن طريق التزاوج، أو الغزو أو احتلال الدول لبعضها البعض مما نتج عنه أختلاط الأجناس، سنجد أن مصر حدث فيها كل هذا، لكن إذا نظرنا إلى الإختلاط عن طريق الزواج أو غزو البلاد لبعضها البعض سنجد أن هذه العوامل التى ذكرناها لم تحدث تغيير فى الشخصية المصرية لم تعطى للمصريين خصال هذه الدول أو أى خصال نتيجة التزاوج والإختلاط إلا قليل منهم إلى حد ما لا يذكر، السؤال الآن أطرحه إلى علماء النفس وعلماء الإجتماع والطبى والنفسى التحليلى كيف حدث هذا لم أعرف، على الوراثة والجينات يقول دائماً ما يكتسب الإنسان الصفات الوراثية عن طريق الأم بمعنى ان الأم إذا أنجبت أربعة أبناء فإن الأولاد يأخذون الصفات الوراثية للأم وأهلها ثلاثة من الأبناء وواحد أو إثنين بالكثير هو الذى سيأخذ الصفات الوراثية للأب حسب هذا الإعتقاد العلمى فإن اليهود يعترفوا بالشخص الذى ينتمى لأم يهودية أكثر من الشخص الذى ينتمى لأب يهودى وأم غير يهودية لإكتساب الصفات الوراثية من ناحية الأم أكثر من ناحية الأب هذا جزء من مفاهيم علم الجينات أو المورثات نعود إلى قضيتنا نحن المصريين الذين أفرزنا خصال وطباع لا تتفق مع حجم التجانس والإختلاط مع بقية شعوب العالم حيث أن الخصال والطباع مورث مثل شئ، لون العين، الذكاء، الطول، القصر مثل أى شئ من هذا القبيل، أضع هذا السؤال أمام أى شخص يعرف الإجابة عليه الإتصال بى حيث أننى قرأت وفكرت كثيراً وكثيراً كى أجد حل أو إجابة على هذا السؤال ولم أجد، كل المحاولات باءت بالفشل وإن كان يوجد بصيص من التفسير لهذه المشكلة هى أن حفنة قليلة من الناس كانت تحمل هذه الخصال والطبيعة قد أكسبت جميع أفراد المجتمع المصرى بخصالهم نتيجة الظروف القاسية التى يعيشها المواطن المصرى، من الخصال التى نتحدث ونلمح بها هى الفهلوه يا جماعة الفهلوة من الآخر تأخر من الجهل وقلة الثقافة وتدل أيضاً على عدم الإيمان بالله بالقدر الكافى لأن الناس يرتكبون أخطاء أخلاقية بإسم الفهلوة والجدعنه.

شاعت في حياتنا المعاصرة فى الآونة الأخيرة، سلوكيات لا نعهدها من قبل، أثرت فى المناخ العام الذى نعيش فيه من قيمة وثقافته، وأحدثت شرخاً فى وحدة الأمة وتماسكها، ولعل أخطر هذه السلوكيات السلبية توظيف الدين لخدمة وأغراض ومصالح شخصية ودنيوية، وإستخدام مبادئه السامية لبث الفرقة والتشرذم والكراهية، الأمر الذى يتناقض تناقضاً صارخاً مع غاية الأديان الرفيعة فى مكنونها، ألا وهو حسن التعايش والتآلف والتعارف بين الناس تعيدنا هذه الردة الثقافية والفكرية إلى عصور الجاهلية التى لم يكن لها إطار أخلاقى وروحى يرتب الأفكار والسلوكيات، ويضع لها الأطر الحاكمة، ولن نجن من ذلك إلا المزيد من التدهور والوهن والضعف، بل الإنهيار من جراء إنسياقنا وراء أهوائنا والأحقاد العمياء التى تتمثل فى الشخصية الغير سوية، وجعل الدين ساحة للمزايدات والآراء غير الدقيقة، والدين بوصفةمنظومة إلهية سامية لا يعتريها خطأ أو قصور، وقد أعمت بصائرنا ضلالات الحقد والكراهية فظن بعضنا أن أخطاء المسلمين يتحملها الإسلام أو أن أخطاء المسيحين تتحملها المسيحية كلا أن الإسلام والمسيحية دينان سماويان، أما التطبيق البشرى فهو الذى يمكن أن يقع فى الخطأ والتجاوزات، إذا سلمنا بهذا الأمر وهو الأخطاء البشرية فى تطبيق تعاليم الأديان، سندرك أن مكنون الأديان برئ من كل الإفتراءات التى تلاحقة، وأن الأديان منظومة إلهية لا تتعدى ولا تظلم أحد، لذلك الدعوة لحوار الأديان والإعتراف بسمو مكانة الأديان هو الحل والبعد عن النعرات العصبية الدينية التى تمزق الإنسانية ولم تكسب من ورائها شيئاً بل تخسر الكثير من طاقتها وقدرتها وقيمتها، بل ومن دمائها التى سالت وأرواحها التى زهقت بإسم الدين قبل أن نتحاور مع بعضنا علينا أن نحى قيم التسامح والإنصاف والتعايش الذى يتسع لأصحاب الأديان كافة، هذه الدعوة موجهة إلى جميع أبناء الأمة مسلمين ومسيحين لتجاوز النظرة المذهبية الضيقة والتعصب الدينى الذى ينكره الدين نفسه والإلتقاء على أرضية مشتركة من الحوار المثمر وحسن التعايش، إن أمامنا الكثير من العمل الشاق كى تحتل أمتنا موقعها اللائق بهذا العالم، والكراهية والأحقاد قوة معطلة ونحن نملك البديل لذلك المستمد من روح حضاراتنا التى لم تكن يوماً داعية للعنف إنما كانت داعية للخير والحب والتسامح وقبول الآخر مهما تعددت الأعراق والأديان والمذاهب.

يقول الشاعر ما معناه أن الزمن لم يتركنا أبرياء ويقول أيضاً براءة الأطفال فى عينية يعنى هذا أن البراءة الخالصة النقية تخص الأطفال فقط وأن غير الأطفال براءتهم ليست تامة أو كاملة فهى براءة منقوصة أخترقت أنقصه الإنسان نفسه، ثم متى ترك الزمان إنسان بريئاً دون أن يقحمة فى معترك الحياة يخوضها بحلوها ومرها ويظهر هذا الزمن أيضاً أعراضة وإثارة الجانبية على الإنسان من شيخوخة وتجاعيد وشيب ووهن والبراءة هى التى يعترف الشاعر بأنها تغتال فى داخل الإنسان ولكن يتهموا الزمان هو الذى قام بعملية الإغتيال هنا نتوقف أمام هذا الإتهام وننفى عن الزمان هذه الجريمة النكراء وندين ونبرأ الإنسان نفسه من هذا الإتهام ندينة لأنه شريك فى عملية إغتيال البراءة بأفعاله التى تخلع عنه صفة البراءة ولكن هى عملية نسبية تختلف فيها درجة البراءة من إنسان لأخر حسب تجاوزاته وتعدية على الأعراف والمبادئ المسلم بها التى حثت عليها الفطرة الحسنة وتعاليم الرسالات السماوية، فالبراءة والطهر والنقاء هو الجمال والرقة والإحساس والنشوة التى تنعش الإحساس وتسمو بالنفس وتهيم بها فى أجواء السعادة بعيداً عن المعارك الطاحنة التى تدور فى معترك الحياة، الأطفال اختصوا بهذه الصفة لأنهم لم يتجنوا على أنفسهم ولا على الآخرين ولم يتجنوا على القيم السامية الصالحة التى تظهر الحب والخير والجمال لذلك هم يتمتعون بهذه الصفة ولذلك هم السعداء الذين يشعرون بالسعادة الحقيقية فى هذه الدنيا وسيظلون هكذا إلى أجل مسمى.

التكتم هو كتم الأسرار وهى صفة معدومة إلى حد كبير من عالمنا العربى وبالأخص محبوبتنا مصر لا نجيد هذا الفن، هل لأننا شعوب ثرثارة نحكي ونقص كثيرا ففقدنا هذه الصفة أعتقد ذلك إلى حد ما ولأن الحكمة تقتضى بأن من كثر لغطة أى كلامه كثرغلطة فإن هناك ماثورات دينية وفلسفية كثيرة تدين اللغط والكلام وتصفه بأنه إحدى المسببات إلى الرجعية والتخلف والفشل أيضا فى أحيان كثيرة الإقلاع عن الثرثرة واللغو من الأشياء البسيطة التى لا يعير لها الإنسان أدنى إهتمام ولكنه فى واقع الأمر له دور كبير فى القيم الإجتماعية والأخلاقية، تنحدر بها شعوب وتعلو بها شعوب أخرى، وحفظ اللسان هو إحدى الخصال الهامة التى تبرز دور التكتم والسرية، هناك حديث نبوى شريف يقول إحفظ ما بين فكيك أضمن لك الجنة وجميع العقائد تحث على تلك الصفة، وفضلها على جميع المستويات الشخصى وغير الشخصى، والتكتم يشمل أيضاً عدم البوح الكثير والتبرم على الأوضاع القائمة كثيراً والفضفضة الزائدة عن الحد، فى حياة الشعوب وخصالها نماذج كثيرة تدعو إلى التأمل والفكر مثلا على ذلك الحديث الشعوب اليهودية والفارسية هذين الشعبين من أكثر الشعوب تطبيقاً للتكتم والسرية التى نحن نتتوق إليها اليوم ونرغب أن تتذود بهذه الحلية التى نراها أثمى وأنفس الجواهر وعلامة للرقى والتحضر والنجاح عموماً، ويجلب من وراءها كل منفعة وإزدهار، كانت الشعوب اليهودية والفارسية كما سلفنا فى الذكر تزخر بهذه الشيم وإلى الآن تتقمصها فالشعب اليهودى حينما كان يرزح فى البلاد العربية تحت مظلة الحكم العثمانى وكذلك المسيحيين والأرمن المقيمين داخل مصر والبلاد العربية كان المسيحيين والأرمن يعبرون عن سخطهم وتبرمهم ويجهرون بذلك وبعدم رضاهم عن قوانين الدولة العثمانية وإستيائهم وشعورهم بالظلم والإجحاف، كانوا اليهود يشعرون بذلك أيضاً ولكنهم لم يعلنوا عن ذلك ولم يعبروا عن غضبهم وإستيائهم بل كانوا يعملون فى الخفاء وبعيد عن أعين الناس والعباد، يعلنون رضاهم وتأييدهم للأنظمة السائدة، وفى قرارة أنفسهم يعملون فى جدية ودأب على إسقاط نظام الدولة العثمانية وخلافته وكان لهم ما أرادوا وما تمنوا بعد حين من الزمن، هنا تبرز دور التكتم والسرية والسيرعلى هوى الأنظمة السائدة فترة من الزمن إلى حين التمكن والمباغتة الذى أتقنته الشعوب اليهودية وهى شئ فى غرائزهم وتكوينهم الجينى، وشعارهم الخنوع والإستسلام طالما الظروف ليست فى صالحهم لحين التمكن والوثب،والشعوب الفارسية (إيران) إلى الآن تملك هذه القدرة على التكتم والسرية التى يعملون بها إلى الآن فالمفاعل النووى الإيرانى يعمل فى سرية تامة فلا أحد من العاملين فى المفاعل يعطى معلومات لأى أحد ولا الحكام المسئولين يفشى بسر وأيضاً المواطنين العاديين لا يفشون بسر تكتم شامل نابع من حبهم وولائهم لوطنهم وأيضاً نابع من عدم دواعى الكلام فى الأمور الهامة وأيضاً عدم دواعى الكلام فى كل شئ والفتوى فى كل شئ وحفظ اللسان هيبة ووقار، وزينة وزمرد للرجال.

نالت الشخصية العربية ما نالت من البحث والتدقيق من أبنائها من المنصفين تارة والجائرين تاره؟ فى شتى الجوانب السيكولوجية منها سيكولوجية الأفراد والاقوام المتاثرة كلا منهما ببيئته وعرقيته ودياناته هذا هو المثلث لثابت الذى تتكون منه الشعوب الثابتة والنازحة.

ولان الشخصية العربية مادة خصبة تغرى دائما للبحث والتحليل لما لها من إنفعالات تحركها ولما يحمله أفرادها من فيض من المشاعر الجياشة والحماسية الملتهبة التى عرفت عنها منذ قديم الأزل ومدونة فى ملاحمهم الشعبية الفخر والحماسة والعزة هى أبرز ما يميز الشخصية العربية والتى ملات كتب التراث الشعبى والمأثور هذه الملاحم هى إحدى تحديد ملامح الشخصية العربية التى أثرت بثرائها وتأثرت فى المجتمع الإنسانى الى حد كبير وإنخرطت فيه وانصهرت وذابت فى بوتقته وصارت جزءا لا يتجزأ منه.

فهذة المقدمة التى تكاد تكون موجزة قبل التدخل والإسهاب فى الحديث عن الشخصية العربية بكل أيدولوجياتها وسماتها التى فرضناها على المجتمع الخارجى واكتسبنا منهم أيضاً، واراء الباحثين المهتمين بالشخصية العربية والمنصفين الذين تجردوا من الأهواء والتاثيرات العرقية والدينية والمادية أيضاً التى طغى تاثيره فى الأونة الأخيرة وأصبح يفوق جميع التاثيرات الأخرى لحاجة البشر الملحة دائماً لها أكثر من اى شيئ أخر سواء كان معنوى أو مبدئى ثمتعال نفند بعض الآراء واحدة تلو الأخرى ونعرض كيفية المعالجة والتنصل وإستئصالها من جذورها لتكون أشخاص أسوياء والأبحاث والدراسات الجديدة أثبتت أن الأشخاص الأسوياء هم الأولى وهم الذين دائماً يغدق الله عز وجل عليهم بالحياة الهانئة الهادئة التى تخلو من المنغصات والمكدرات وهم أيضاً الذين ينعم عليهم بالرفاهية والحياة الرغدة يستمتعون بها ويحيوا حياة طيبة فى الدنيا والأخرة، فبعض هذة الآراء وهى كثيرة ومعالجتها تكاد تكون ممكنة والتخلص من سلبياتها هو جائز، التنافسية والظهور فتعال نفند كلا منهما على حدا.

أولاً التنافسية فثبت علمياً أن صفة التنافسية بين الناس هى من الموروثات الذميمة والمنفرة التى نبذتها الأديان السماوية وحاولت دحرها وأباها الخلق الحسن والذوق العام هى من نتاج ومحصلة الضغينة والكره بلا مبرر يذكر وأن الشخص الذى تتوفر فية هذه النعوت المتدنية يكون دائماً على قدر كبير من الجهل وضيق الأفق وقلة الوعى ضحل الثقافةوالمعرفة وتنفى عنه أيضاً صفة الإيمان بالله بالقدر الكافى لإن إختيار التنافس فيما بينه وبين أخرين قد وضع بينه وبين غيرهسباق محموم فى أمور كثيرة دنياوية زائلة منها المال والجماعة (العزوة) النفوذ والتسلطية على رقاب الغير ومصائرهم، إن التنافسية التى حددها علم الإجتماع والنفس ووضعوا له التعريف، وقالوا انه من المحارق

والمهالك البشرية ووراء تعثر الشعوب عن مواكبة التحضر والمدنية وهو راى متفق عليه من جميع الشرائع الدينية والفطرة السليمة الحسنة لأنها تؤجج بين الناس العداء وتصرفهم عن جميع قضاياهم الحياتية وتجعلهم يلهثون وراء الإنتقام والتشفى ورغبة فى إخضاع الغير والنيل منه ورغبة فى إستسلام منافسة بين يدية وإعلان الهزيمة وإعلان الطاعة والولاء والخنوع هذه هى صفة التنافسية التى أقرها الباحثين المهتمين باعماق النفس البشرية وأغوارها والتى يرون أنها أغرب مما يتصور عقل.

لقد أسرف هؤلاء الباحثين فى الصاق الشخصية العربية بالتنافسية وأطلقوا العنان لهذا التصور ولكنهم لم يعمموه إذ تحمل بعض الشرائح الموجودة لهذة الصفات فلا نرغب أن نبلغ الياس ونضع الأمر ونشبهه بالعيب الخلقى كالذى ثبت مؤخراً فى عالم الطب النفسى من مفاجآت جديدة دوت فى الأوساط الطبية مفجرة ورائها أكتشاف هام هى أن المرض النفسى بما يحتوية هو فى الأصل عيب خلقى وعضوى فى المخ كآلام المعدة والصدر والعين وخلل فى خلايا المخ هو الذى يؤدى إلى المرض النفسى والعلاج فيه يجب أن يكون عن طريق العقاقير الطبية وليس عن طريق التحليل النفسى والبحث فى رواسب الطفولة والعقد الإجتماعية كما كنا نعتقد أن التنافسية التى حددها علم الإجتماع والنفس من قبل وكان الناس جميعا يعتقدون ذلك ونصل بالأمر إلى طريق مسدود فى علاج بعض الشرائح التى وصفت بالتنافسية أن وضعناها فى قالب العيب الخلقى والمرض العضوى وليست نفسى تحليلى فالتنافسية يمكن التخلص منها نهائياً والتبرأ من تداعياتها المؤلمة الجالبة للشر، والخروج من سباق التقدم الذى بات هو معيار القوى والرخاء والرفاهية التى نصبوا إليها جميعاً لامتناالعربية ونسعى إليها سعياً حفيفا وجاد، فالطاعة والصبغة الإيمانية المعتدلة هى أولى الخطوات والحلول للخروج من تلك الأزمات المزمنة التى باتت تؤرق الشخصية العربية التى نتمنى لها التجرد من كل العيوب السيكولوجية وتتحلى بصفات الشخصية السوية التى هى سر النجاح والتقدم والرخاء والرفاهية.

خضعت الشخصية العربية للبحث والتحليل من أبناءها وغير أبناءها المنصفين تارة والجائرين تارة لا سيما، بعد الإسلام الذى أخرجه حيز ونطاق المحلية فى جزيرة العرب واتسعت دائرته إلى آفاق أوسع وأرحب فارضه نمطاً جديداً ومؤثراً فى الحياة البشرية معلنة لنواميس وأعراف جديدة لهذا الكون وتدبر أموره وسلوكا إجتماعيا لم يعرف منه الكثير من قبل ومعتنقين يحاولون عرضه بأساليب مختلفة السلم والحسنى تارة عند البعض وغيره عند البعض الآخر، ومن هذا المنطلق بدا الإهتمام الميتافيزيقى والكاريزما الخاصة بالشخصية العربية، وعرضنا فيما سبق بعض آراء الباحثين مع ذكر أسماؤهم فى هذا السياق والذى يهمنا فيه الرأى وليس قائلة ولأن الرأى معرض للصواب والخطأ والإصابة والإخفاق، ولكن لنا أن نحلل الرأى ونضعه فى نصابه الصحيح ونضع له إحتمال الصواب فى الصفة التى يصفونها والحلول البديلةالتى يجب تداركها إن كان صوابا فهناك إستنتاجات كثيرة شائنة ونميمة الصقت بالشخصية العربية وهى صفة الفردية ويعلم الجميع القاصى والدانى إن صفة الفردية هى صفة خاسرة دائما ولا تكون مجتمعات ناجحة ولا تتطلع إلى النجاح لأن هذه الصفة تخفق أصحابها وتغتال أى تقدم للأفضل، وتوءدة وهو فى المهد وتكتب له عدم الميلاد فالفردية تشمل أشياء كثيرة منها إنصراف الإنسان إلى نفسه متقوقعا فى ذاتيته ونرجسيته محاولا دائما إرضائها وإشباعها على أنقاض الجماعة التى هى ديننا وعلميا أهم من الفرد الواحد (وهناك المثل الشعبى : تبقى الجماعة ويذهب الفرد فداء له) إن الفردية المغذية للأنانية وآلانا والمجد الشخصى وهى دراسة قتلت بحثا عند الباحثين كما يصفونها وينعتونها هى من أسباب تعاسة وشقاء الإنسان، وروح الجماعة والفريق الواحد التى تفتقدها الشخصية العربية دائما، وإن وجدت بعض الوقت فهى لفترة محدودة لا تطيل ولا تدوم لأسباب عديدة سردوها فى كثير من الأبحاث والدراسات المهنية المهتمة بالشخصية العربية والتى لم يعمموها كصفة كما ذكرنا، ولكنها موجودة فى فئة وشريحة ليست قليلة ومؤثرة أحيانا كثيرة وإن وجدوا فى دائرة صنع القرار والأمور الهامة المصيرية وإن لعبت هذه الشخصية الفردية دوراً فى هذه الأمور وستكون طامة كبرى على الشعوب التى ينتمون إليها والتى ستتورط فى مشكلات يصعب تجاوزها، وعواقب فادحة ومؤلمة، تتجرع الشعوب كؤوس مريرة من جراء تدخل هذه الحفنة من المجتمع فى دهاليز الحكم وإدارة شئون البلاد وتعتبر هذه الشخصية الفردية شخصية مدمرة إلى أبعد الحدود وتفتك بالمجتمعات النامية الراغبة فى التحضر والمدنية إن لم ننتبة إلى هذا الأمر سنجنى كثير من المآسى والآلام والنار التى ستحرق أصابع الجميع.

والشق الثانى من الشخصية الفردية هى التمرد على عمل الفريق الواحد التى هى أساس نهضة الشعوب وتقدمها ورفض الإنصياع لاوامر قادتهم فى العمل وتطبيق التعاليم كمايجب والتفانى فيه والإنشقاق دائما بآراء تافهة تعبر عن ضيق الأفق وتعوق العمل الجماعى وتعطل المسيرة الجماعية التى نتطرق إليها جميعاً فى بلاد

الغرب تجد من يحترمون قواعد وقوانين عملهم ويحترمون القوانين الوضعية التى وضعها بشر مثلهم ولأنهم يتمتعون بالثقة فيما بينهم وقدرتهم جميعاً على العطاء من أجل وطنهم وشعوبهم.

شرعوا فى قوانين تحقق مصالحهم التى يصبون إليها ويطبقونها كاملة دون إعتراض بلا مبرر يدعو إلى السأم والملل.

وفى إحدى التعريفات أيضاً للشخصية الفردية هى عدم الإمتثال لمجرد عدم الإمتثال والإذعان فلماذا التمرد لكل صغيرة وكبيرة فى عالمنا العربى أكتب هذين السطرين وكلى حنق من وصم البعض منا بهذه الصفات التى لا يخلو العالم منها فى أجناس أخرى تحمل سيكولوجية الشخصية الفردية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

داب الباحثين والمستشرقن أى المهتمين بأمور الشرق ودياناته وعبادته أن يصرحوا بين الحين والآخر بعض ما يجول فى خواطرهم أن يبحثوا عن نقاط ضعف يحرفونه كى يزرعوا الشكوك والظنون فى نفوس الناس من أهل الشرق هؤلاء الباحثين غالباً لا يعتنقون أى من الأديان ولكنهم يحاولون أن يضعوا بذرة الشك وإحداث القلاقل والإنقسامات والغاية منهم شرزمة أى أمة وتفكيك كل وحدة لأغراض هم يتتوقون إليها من هذه السموم التى يرغبون حقنها فى الأورده المتهالكة التى أعيتها كثرة السموم المتدفقة فى شرايينها، أطلوا علينا بنغمة جديدة من نوعها هو أن الإسلام دين يجافى العقل هنا نتسائل ما معنى يجافى العقل قالوا يجافى العقل معناه أن الرأى الصواب الذى يهتدى إليه العقل يرفضونه ويعتبرون أن العقل له فكر محدود وأن أمور كثيرة ليست فى إستطاعة العقل إدراكها فهو فى نظر الإسلام والمسلمين المقصود هو العقل كالبصر لا يمكن أن يرى إلا فى حدود، فهم ينفون ذلك ويصرحون أن العقل يختلف عن البصر فهو أعمق وليس له نهاية فى التوصل إلى كل شئ فمحدودية العقل عند المسلمين يرجعون سببه إلى أشياء أخرى كالتوكل والإيمان بالقضاء والقدر وهى من الأشياء التى يرفضها العقل الغربى، ويرى كل شئ من إرادة الإنسان وتصرفه ولا دخل لأحد فى أمور فى يد الإنسان فهو إيمانهم بالعلم المادى الملموس المسيطر على كل وجدانهم... قالوا أسرفنا فى إسناد كل شئ على الله هذا غير صحيح.

أما نحن فى وجهة نظرهم إتكاليين إن عجزنا علقنا فشلنا وعدم معرفتنا وإسنادها إلى القضاء والقدر وإلى ما آخرة من الغيبيات التى لا يكنون لها أى مكانة فى عالمهم المادى المعاصر فهم يرون ما بين نصب أعينهم فقط أما ما وراء ذلك فهو مجرد ترهات وتخيلات لا يجب التفكير فيه أو طعن الوقت فى مثل هذه الأمور، أما نحن شعوب الشرق المسلمة أولاً نؤمن بقوة خارقة فوق كل قوة هى قوة الله وقدرته الهائلة التى تفوق كل القدرات ولذلك كل شئ يستعصى علينا نرجعه إلى حكمة الله جل وعلا لسنا إتكاليين أو قدريين كما إدعوا علينا وإسهبوا فى هذا الحديث كثيراً قالوا أسرفنا ولكننا بكل بساطة وإعتراف أننا نؤمن أن قدرة الله سبحانه فوق كل قدرة وعلم الله جل وعلا هو العلم الأكبر وسبحانه وتعالى هو القادر العليم الخبير.

ارهقتنا الحياة أنا وغيرى قول وكلمة يرى أن الحياة رحلة شاقة على كاهل الإنسان، ويرى الإرهاق الذى بدأ على جسده الذى باتا منهكا وأصيب بـه مع مرور الأيام والزمن وذهنة الذى أصبح متعب من صولاته ومن طول ما فكر وتدبر، ويرى أيضاً فى غيره من الناس الكل والإرهاق على أقرانه وذوية، فى أعينهم التى هالت وشردت هالت تجمع خطوط سوداء متورمة، وباتت أعين ساهمة لا تعرف الإتجاه الذى تنظر إليه شردت حينما أصبحت لا تعبر عن شئ غير أنها مجهدة من كل شئ؛ ونبرات صوت بائسة مرهقة منكسرة من كثرة اللحظات الصادمة وخطا سـير حـائرة مستسـلمة لأوجعه ولأحـوال مترديه وإنهزم فى معارك ضارية كانت خطا ثقـيلة تحملها أقدام متهالكه لا تقوى على حمل نفسـها، وأنزواء وعزلة قـاتلة، وإنسحـاب إلى جدران صامته جامدة تصم الآذن واللسـان عن محـاكتها، وسـعادة بـالغة عندما يضرب الصمت أركانـها هذه أحـوال تسربـت وتفشـت وتوغلت إلى بـعض النفوس فى عصرنـا الحـالى ترى ما الذى أعترها ما الذى أصابـها متى تصبـح الشـخصية هكذا متى تخلد وتميل إلى هذا النمط الرهيب صمت الجدران والمكان، هل هى حـياة سـعيدة أما لا حـزينة ننظر إليها بإشفاق، ربما تكون شيخوخة مبكرة لنا الإجتهاد خوفاً أن تسود تلك الآفة المدمرة للمجتمع ككل.

الفهـــرس

رقم الإيداع بدار الكتاب ٤٦٢٨/٢٠٠٩
الترقيم الدولى 2-6706-17-977

الطبعة الأولى

مارس ٢٠٠٩

طبع بدار ممفيس للطباعة
٥٦ ب ش منصور - باب اللوق - عابدين - القاهرة
ت : ٠١٠٥٦١٥٨٢٢



الدنيا زحـــام ضوضاء وضجيج وصخب

زحام يتكالب الناس على حظوظها وكم مُتعها

خالد حسن أحمد



١٠ جنيهات